سلسلة تصحيح صورة الإسلام



الصورة النمطية للإسلام في المتخيل الغربي:

سوء فهم أم مركّب جهل...





دة: ناجية أقجوج
عضو المجلس العلمي المحلي
لإقليم مولاي يعقوب

سلسلة تصحيح صورة الإسلام



الصورة النمطية للإسلام في المتخيل الغربي:

سوء فهم أم مركّب جهل...

دة: ناجيـــة أقــجــوج

الصورة النمطية للإسلام في المتخيل الغربي:

سوء فهم أم مركب جهل...

دة: ناجيــة أقــجــوج

- رقم الإيداع القانوني: 2009 MO 1554
- رقم الإيداع الدولي: 978 - 9981 - 898 - 52 - x
- الطبعة الأولى: 2009

- طبع وتصميم: مطبعة أنفو - برانت، 12، شارع القادسية - الليدو - فاس.

الهاتف: 05.35.64.17.26 / 06.61.20.16.41 / الفاكس: 05.35.65.72.47

البريد الإلكتروني: infoprintfes@gmail.com

Site Web: http://infoprint.awardspace.com

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿ يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل
وتكتمون الحق وأنتم تعلمون ﴾

آل عمران/ 71

تقديم:

لم يَعُد خافيا على أحد مدى تفاقم واتساع رقعة التهجم الإعلامي في الغرب على الإسلام والمسلمين، خاصة بعد أحداث 11 شتنبر 2001م. وقد أصبح هذا التهجم مادة يومية في الصحافة والتلفزيون، وأضحت الأحكام المسبقة والأفكار المغلوطة والصورة النمطية تنشر بصورة فظيعة عبر وسائل الاتصال الجماهيري التي لها من الفاعلية وقوة الجذب والتأثير ما يجعل الغربيين ذوي قابلية واستعداد بالغين للتصديق والاستيعاب السريع لكل المعلومات الخاطئة التي تلصق زورا بالإسلام والمسلمين.

وإذا كنا لا ننكر أن في الغرب مفكرين وإعلاميين يتحدثون عن الإسلام بإنصاف، فإن في الغرب أيضا صناعة ضخمة هي صناعة الكراهية والعداء للإسلام والمسلمين؛ وهي صناعة ترتبط بعنصر نفسي بارز من عناصر التكوين الفكري للإنسان الغربي المتمثل في الاعتقاد بالتفوق العنصري، ولذلك لم يستطع الغرب ومعه إعلامه الرهيب تفهم الإسلام على حقيقته، واستيعاب طبيعة حضارته الإنسانية.

وسواء كان الحديث السلبي للغربيين عن الإسلام ناتجا عن جهل أو عن قصد أو عن سوء فهم، فهناك حاجة ملحة تفرض علينا توفير مصادر معلومات صحيحة باللغات الأجنبية تكون متاحة ومتوفرة للصحفي والكاتب والمؤرخ الغربي، وبدون وجود هذه المصادر تبقى جهود التصحيح رسمية كانت أو مستقلة غير قادرة على تحقيق المراد وبلوغ المقصود.

لقد آن الأوان لبذل الجهود الحثيثة لإيجاد فهم صحيح للإسلام يؤدي إلى التقليل من سوء الفهم والجهل بحقائقه، وهو ما يقتضي منا– معشر المهتمين بهذا الأمر– إعادة النظر في أساليب طرحنا للإسلام وثقافته وحضارته، وطرائق تعبيرنا عن أفكارنا أثناء مخاطبة الآخر بما يتناسب وتصحيح الصورة وتبديد سوء الفهم العالق بأذهان الغربيين.

إن هذا الكتاب الذي أنضجته بمهارة وإتقان الباحثة الدكتورة ناجية أقجوج- عضو المجلس العلمي المحلي لإقليم مولاي يعقوب بجهة فاس- يستعرض كثيرا من جوانب سوء الفهم أو الجهل الغربي بحقائق الإسلام في مجالات و فضاءات مختلفة.

وإنني إذ أشكر المؤلفة الفاضلة على إسهامها ومجهودها،آمل أن يحقق هذا العدد الجديد من "**سلسلة تصحيح صورة الإسلام**" ما نصبو إليه جميعا في مجال العمل على تصحيح صورة الإسلام من خلال القيام بواجب التنبيه والتبصير بطرائق الفهم والتحليل التي ينتهجها الغرب في حكمه على الإسلام الذي غدا – للأسف الشديد- دينا يُشار إليه أكثر مما يُتعامَل معه.

د: حسن عزوزي

رئيس مركز الدراسات والأبحاث

في مجال تصحيح صورة الإسلام.

فاس في:

08 جمادى الأولى 1430هـ

04 ماي 2009م .

مقدمة:

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلمه البيان، ومنحه الإلهام، وفتح له الأفهام، وأورده من المناهل ما يشفي الأوام، ويدفع العلل والأسقام، ويدحض الشبهات والأوهام، والصلاة والسلام على خير الأنام، رسول السلم والسلام، وعلى آله وصحابته الكرام، وأعن اللهم من حمل لواء الدفاع عن الإسلام على الدوام.

أما بعد:

فقد دأب الغرب على تمرير صورة نمطية قاتمة عن الإسلام والمسلمين منذ عهود وسنين، بل ومنذ ظهور الإسلام. وإن هذا العداء المتجذر والمشحون بالافتراءات والأراجيف وإن كان حقا له تاريخ وتاريخ قديم جدا، فإن هذا التاريخ يعيد نفسه من حين لآخر،كما أن الأحداث التي عرفها العالم في السنين الأخيرة أسهمت وبشكل كبير في إعادة بث الصورة النمطية، وكانت هجمات 11 سبتمبر فرصة ثمينة للغرب من أجل شن الغارة من جديد على "العدو البديل"؛ حيث تصاعدت حملات العداء فطالت رموز الدين الإسلامي في الغرب؛ تشويه القرآن الكريم من خلال الأفلام وتدنيسه بطرق مختلفة وفي أماكن متفرقة، والاعتداء على شخص الرسول ﷺ بمختلف الوسائل من رسوم كاريكاتورية وتصريحات رسمية ودراسات مغرضة...ثم رفض الرموز الدينية في فرنسا وبلجيكا وألمانيا...، ومهما تعددت دوافع هذا العداء والتي يمكن عزوها مبدئيا إلى الأحقاد التاريخية المتجذرة والمفاهيم القروسطية التي كرستها المناهج الدراسية وكتب التراث، وأذكتها وسائل الإعلام والروايات الشعبية، وبلورها الوعي والمتخيل المسيحي عن الإسلام والمسلمين، فإن مجموعة من الظواهر المَرَضية كسوء الفهم وسوء القصد والجهل المركب تبقى أخطر المسائل التي تطبع العلاقة بين الإسلام والغرب، وبين المسلم والآخر المختلف في الدين والفكر والمعتقد بطابع الكره والتنميط والتشويه للإسلام والمسلمين.

إن هذا البلاء المفاهيمي وهذه الظواهر المَرَضية وما يتولد عنها من تحريف باطل وتأويل فاسد وصور مشوهة وعداء متجدد إنما حصل ويحصل نتيجة حجب الحقائق من جهة، أو عرضها في جو من الانغلاق والتطرف والتعصب من جهة أخرى؛ وهو ما يغذي كل الأفكار المغلوطة والفهوم المعوجَّة، ولأن نفي نوابت السوء ومكامن الأوهام وآثار الجهل- بسيطا كان أو مركبا- لا بد له من فهم سليم وفكر مستقيم؛ وعلى حد قول الإمام ابن القيم: "صحة الفهم وحسن القصد من أعظم نعم الله التي أنعم بها على عبده بل ما أعطي عبد بعد الإسلام أفضل ولا أجل منهما بل هما ساقا الإسلام وقيامه عليهما وبهما يأمن العبد طريق المغضوب عليهم الذين فسد قصدهم وطريق الضالين الذين فسدت فهومهم..."[1]، ولكن هذا لا يعني أن التقصير في التعريف بالإسلام هو وحده سبب العداء وأساس الافتراء؛ لأن "التصور النمطي المشوه عن الإسلام لم يتشكل بسبب ضعف معرفة الأوربيين بهذا الدين فحسب.." كما صرح بذلك أليكسي جورافسكي[2]، بل ثمة جهل مركب بهذه الحقائق وخلط بين المفاهيم عمدا: ﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون﴾[3]، وحسدا: ﴿ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره إن الله على كل شيء قدير﴾[4]؛ لأن الغرب في الحقيقة ليس غربا واحدا في التعامل مع الإسلام والمسلمين؛ فهم أخياف، طبقا لمبدإ نفي السوائية الوارد في قول الله تعالى: ﴿ليسوا سواء﴾[5]، ولذلك فليس من المنطقي أن نتعامل في تحليل الأحداث وتفكيك أسباب العداء على نظرية

---

[1]– إعلام الموقعين: 1 /87.

[2] – الإسلام والمسيحية: من التنافس والتصادم إلى آفاق الحوار والتفاهم، ترجمة: خلف محمد الجراد، سلسلة علم المعرفة – الكويت، ع 215، نوفمبر 1996م، ص: 59.

[3] _ سورة الصف / 8.

[4] _سورة البقرة / 109.

[5] _آل عمران /113.

العامل الواحد أو التصرف المفرد... وأيا كانت الأسباب تبقى المفاهيم القروسطية والصور النمطية في مجملها – منفردة أو مجتمعة– أكثر مواد التشويه التي يمررها المفكرون والساسة ورجال الدين والإعلاميون والفنانون الغربيون كل من موقعه الخاص وكل لهدفه أو أهدافه الخاصة...

واليوم وبعدما أصبح الغرب يتناوب على تشويه صورة الإسلام بات من الصعب حقا تحديد المسؤوليات، وكشف أسباب هذه التصرفات؛ هل هو حقا سوء فهم[1] للإسلام، أم هو جهل مركب[2]، أم هو تقصير المسلمين في التعريف بدينهم

---

[1] – سوء الفهم غالبا ما يكون ناتجا عن أسقام علقت بالأذهان وقد تتعدد أسبابه، ويعجبني أن أورد بعضها نقلا عن "أبجد العلوم":" ويكون سوء الفهم تارة لكمال الحماية والعداوة لأحد، وتارة للغفلة عن مرمى قصده...وتارة المبادرة ثم الإصرار على ما استقر في النفس من غير إيفاء النظر حقه...وتارة الجحود لحسن ظن كاذب على قائله...وتارة للبلادة على نيل المعنى الدقيق والاغترار برأيه..." أبجد العلوم، 1/ 411، وأما عن نتائج سوء الفهم فيقول ابن القيم: "...بل سوء الفهم عن الله ورسوله أصل كل بدعة وضلالة نشأت في الإسلام، بل هو أصل كل خطأ في الأصول والفروع..... "الروح / ص: 63 ط: دار الكتب العلمية 1975 م، وفي مقال آخر يقول:" فلما حدث بعد انقضاء عصرهم من ساء فهمه وقعوا في أنواع من التأويل بحسب سوء الفهم وفساد القصد، وقد يجتمعان وقد ينفردان، وإن اجتمع سوء الفهم وفساد القصد تولد من بينهما جهل بالحق ومعاداة لأهله واستحلال ما حرم الله منهم " الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، 2/ 510.

[2] – الجهل: هو اعتقاد الشيء على خلاف ما هو عليه، والمركب منه هو" عبارة عن اعتقاد جازم غير مطابق للواقع" التعريفات، ص:26، وهو الذي " يمنع إدراك الحق ويوجب تكذيب المحق فاصبر على ما نشاهد منهم من الأقوال الباطلة والأفعال السيئة...." إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود، 7 / 67، أو هو إدراك الشيء على وجه يخالف ما هو عليه، وسمي مركبا ؛ لأنه جهلان: جهل الإنسان بالواقع، وجهل بحاله حيث ظن أنه عالم وليس بعالم...أو كما قال ابن تيمية: "ظنون كاذبة وعقائد غير مطابقة وإن كانوا يسمون ذلك برهانا وأدلة يقينية فهم أنفسهم ونظراؤهم يقدحون فيها ويبينون أنها شبهات فاسدة وحجج عن الحق حائدة " درء التعارض، 7/ 284.

وإن إضافة صفة المركب إلى الجهل دليل على كون هذا الجهل ليس جهلا عاديا أو بسيطا، بل ثمة إضافات دخلت فغيرت طبيعته وميزت صفة من اتصف به، وهو كذلك؛ وهذا شأن الجهل بالإسلام في المتخيل الغربي أضيفت له مجموعة إضافات جعلته مركبا ومعقدا ؛ حيث أضيف الجهل بعدم العلم، والحقد وسوء القصد والخوف....

وتمثيله التمثيل الأصح، أم ثمة أسباب أخرى....؛ حيث إنه لا تكاد نار تخمد في جهة حتى تشتعل نيران في جهة أخرى؛ فتنوعت الأساليب، وتعددت الجهات، وتباينت النظريات، وتوالت الأزمات والصدمات؛ فمن إلصاق تهمة الإرهاب بالإسلام، إلى تدنيس القرآن الكريم، والاعتداء على شخص الرسول الأكرم....

وإن من يحلل مثلا فكر "بابا الفاتيكان" ويعيد قراءة المحاضرة يجد أن الرجل ممن لا يصح تصنيفه في خانة سوء الفهم، وإنما يدخل- من وجهة نظر- في عموم المخاطبين في قول الله تعالى: ﴿يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون﴾[1]؛ فينطبق عليه وصف الجاهل جهلا مركبا، ويلحق بكوكبة الذين امتطوا قافلة الاعتساف وجنحوا إلى الإجحاف؛ فالبابا عالم حق العلم بصفته رجل دين أولا، ومن المفروض أن يكون على اطلاع واسع بمختلف الديانات ومعرفة بحال الرسل والأنبياء: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون﴾[2]، وثانيا أن الرجل أكثر من يروج لفكرة الحوار والتعايش بين الأمم والشعوب، والثقافات والحضارات: ﴿يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون﴾[3].

وقد ضرب الله مثلا لأهل الجهل المركب بقوله عز وجل: ﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب﴾ سورة النور / آية 39. قال ابن كثير عند تفسيره للآيات:" هذان مثلان ضربهما الله لنوعي الكفار... فأما الأول من هذين المثلين فهو للكفار الدعاة إلى كفرهم الذين يحسبون أنهم على شيء من الأعمال والاعتقادات وليسوا في الأمر على شيء فمثلهم في ذلك كالسراب..." تفسير القرآن الكريم، 3/ 297، وهدف هؤلاء التضليل والتحريف والتلبيس والتشكيك عن قصد وعلم، والله تعالى يكشف عن حالهم بقوله تعالى: ﴿يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون﴾ آل عمران: 71.

[1] - آل عمران / 71.

[2] - البقرة / آية 146.

[3] - التوبة / جزء من آية 8

ومن يفكك أحداث الفيلمين الذين استهدفا القرآن الكريم في هولندا عام 2004 م، وعام 2008م، ويتأمل في الأسباب ويحلل الظروف المصاحبة يلحظ أثر تنامي التيارات العنصرية والحركات السياسية اليمينية المعادية للحضور الإسلامي في الغرب، ويستشف تلك المخططات التي تركز على كل ما من شأنه أن يؤثر على هذا الوجود من قبيل الهجرة والرموز واللجوء...مع تغليف ذلك كله بظاهرة الفوبيا.

ومن يتأمل نشر وإعادة نشر الرسوم الكاريكاتورية السيئة التي استهدفت شخص الرسول ﷺ سيكتشف أن الأمر ليس مجرد تصرف أو تهور فردي جارف، وقد يستغرب حيث سيلحظ أنه كلما تعلق الأمر بصراعات حزبية وضع الإسلام في قفص الاتهام....

ومن يتتبع عن قرب ما تتعرض له المحجبات المسلمات في مناطق مختلفة من العالم، ومدى تأثير التيارات العلمانية، فسيجد نفسه لا محالة أمام حرب رموز ناتجة عن ازدواجية معايير – ظاهرة أخرى من الظواهر المرضية – بين قبول ورفض؛ قبول غطاء رأس الراهبة ورفض غطاء رأس المسلمة، وقبول لحية اليهودي (الحر) ورفض لحية المسلم (المتطرف)،...

وإزاء كل هذه المؤامرات المتتالية، وهذه الافتراءات المتجددة تتوالى الأسئلة عن أسباب هذا العداء واتهام الإسلام بهذه الاتهامات الباطلة، وإن كان البعض يعزوها إلى الخوف من تنامي الدين الإسلامي على العالم بأسره، فإن هذه الفوبيا نفسها لا تعدو أن تكون نتاج سوء فهم و جهل أو حقد وكره: ﴿قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون﴾[1].

وإن كان المسلم يتحمل قسطا من المسؤولية، فلا بد من إرشاد العقول المسلمة إلى خبايا تلكم الأفكار المجحفة أولا، ثم لا بد من استنهاض الهمم من أجل دفع العوادي وكشف النقاب واستبقاء الصحيح ثانيا، وهذا أمر لا يتأتى إلا بالتعاون وتضافر الجهود في هذا المجال.

---

[1] – المائدة / آية 59.

وهذا العمل الذي نقدمه اليوم للقارئ هو استجلاء لصورة الإسلام في المتخيل الغربي خصوصا في العصر الحديث؛ وذلك لنبين أن العداء الغربي للإسلام لم يقف عند حد المستشرقين القدامى، وإنما أصبح اليوم يتخذ أشكالا متعددة قد يكون الاستشراق القديم أحد منطلقاتها....

وقد قصدت بالإسلام الدين الذي قال عنه الله تعالى: ﴿إِن الدين عند الله الإسلام﴾[1]، مجردا عن أي إضافة تضفي عليه صبغة معينة، وتنفي عنه الصفة الحقيقة التي أرادها الله تعالى؛ الإسلام رسالة إلى العالمين، والإسلام الرحمة، والإسلام السلام، والإسلام الشريعة، والإسلام العقيدة والإسلام دين التوحيد، فالواجب أن نحافظ عليه على هذا الأساس لا أن نضيف إليه إضافات لن تزيد المسلمين إلا تفرقا وتميزا وتحزبا، ولن تمنح للآخر سوى فرصة التشويه والتشكيك، ونحن من واجبها أن نجرده من كل الإضافات التي أدخلوها على هذا الدين القيم، إنه ليس إسلاما رجعيا، ولا إسلاما سياسيا، ولا إسلاما متطرفا...إنه الدين الذي اعتنقه العربي والفارسي، واليهودي، والحبشي...دين الناس كافة، دين الحق ودين التوحيد.

وأما الغرب فجعلته مضافا إلى متخيله لصرف النظر عن التقسيم الجغرافي خصوصا بعدما أصبح الغرب لا يخضع لأي جغرافية محددة؛ فهو غرب في غرب، وغرب في شرق، إنْ ليس بالتواجد الفعلي فبالآليات والوسائل الهدامة.والمتخيل أعم لشموليته الأفكار والمعتقدات والتوجهات والتصرفات...، فرصد صورة الإسلام من خلال عقول وأفكار وتصورات وتصرفات الآخر – الغربي- بمختلف مكوناته الاجتماعية والسياسية والفكرية، وبمختلف مؤسساته العلمية والإعلامية والفنية....في كل بقاع العالم، أبلغ من رصدها من خلال التواجد الإسلامي في الغرب.

والعمل جاء في مقدمة و قسمين كبيرين يتضمن كل قسم محاور رئيسية وخاتمة على البيان الآتي:

---

[1] – آل عمران / آية 19.

القسم الأول: المنظومة العامة لتمرير الصورة النمطية، ويضم محاور خمسة:

- المحور الأول: مناهج التعليم و الكتب المدرسية،
- المحور الثاني: وسائل الإعلام،
- المحور الثالث: الصناعة السينمائية / الأفلام،
- المحور الرابع: الكاريكاتير،
- المحور الخامس: التصرفات الخاطئة .

القسم الثاني: مفاهيم نمطية و قذائف حق، وضمنه أربعة محاور:

- المحور الأول: في مجال العلاقات الدولية،
- المحور الثاني: في المجال الاقتصادي،
- المحور الثالث: في المجال الحقوقي و الأسري،
- المحور الرابع: في المجال الثقافي والتربوي.

وأخيرا أسأل الله أن يساهم هذا العدد والسلسلة عموما في الارتقاء بالعمل التنويري في الداخل والخارج، وفي إزالة ما بالأذهان من سوء الأفهام، ونفي بعض من شبهات الجهلاء عن الإسلام.

﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾

صدق الله العظيم.

القسم الأول:

المنظومة العامة لتمرير الصورة النمطية

- ✓ المحور الأول: مناهج التعليم والكتب المدرسية.
- ✓ المحور الثاني: وسائل الإعلام.
- ✓ المحور الثالث: الصناعة السينمائية/الأفلام.
- ✓ المحور الرابع: الكاريكاتير.
- ✓ المحور الخامس: التصرفات الخاطئة .

القسم الأول:
المنظومة العامة لتمرير الصورة النمطية

﴿إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون﴾ الممتحنة/ 2.

الفرش:

كلما طرح موضوع تصحيح صورة الإسلام أحس المسلم بجسامة المسؤولية والتقصير في الدفاع عن هذا الدين القيم، وفكر في ضرورة عرض صورته الحقيقية...لكن الذي قد يغفله الكثير منا أن الأمر لا يتعلق فقط بهذه المهمة؛ خصوصا وأن "التصورات الغربية المعاصرة حول دين المسلمين لم تتكون وتترسم في صفحة بيضاء خالية، وإنما انعكست في مرآة قديمة مشوهة" على حد قول جورافسكي[1]، ولأن صورة الإسلام في عيون الغرب هي نتاج إرث مَرَضي خطير تداخلت في تشكيله مجموعة من الوسائل والآليات والتصرفات كونت منظومة عامة، وتوارثته الأجيال المتلاحقة عبر تربية خاطئة؛ فغرست صور معينة في العقول وترسخت في الأذهان بالبنان واللسان، ونشرت للعوام بالأقلام والإعلام والأفلام... إنها الوسائل البارزة في تمرير التشويه وتكريس العداء؛ وحسب قول المستشرق الفرنسي مكسيم رودنسون: "...وبفضل الصحافة والأدب الشعبي وكتب الأطفال أخذت هذه النظرة تتسرب إلى عقول الجماهير الغفيرة من الأوربيين..."[2]. وهذه في الحقيقة هي أبرز المحطات التي ينبغي رصدها، والتي يجب أن يسلط عليها العلماء والمفكرون والباحثون الاهتمام، من أجل تصحيح شمولي؛ فما لم يتم إزالة الصور

---

[1] – الإسلام والمسيحية، ص: 59.

[2]– الصورة الغربية والدراسات العربية الإسلامية، لمكسيم رودنسون. بحث ضمن تراث الإسلام،الجزء الأول، ص: 69. تصنيف: جوزيف شاخت – كليفورد بوزورث، ترجمة: محمد زهير السمهوري – حسن مؤنس – إحسان صدقي العمد، سلسلة عالم المعرفة 8، الطبعة 3 الكويت 1985م.

النمطية التي دونتها الأقلام خصوصا من الكتب المدرسية ومناهج التعليم وكتب التراث الغربي عموما، ثم ما لم يتم رصد وتصحيح ما يتم تمريره عبر وسائل الإعلام، وما يتم تجسيده عن طريق الأفلام، وكذلك ما لم يغير المسلم تصرفاته وفق تعاليم الإسلام فلا سبيل للخوض في مزيد من الكلام في هذا المقام.

ونحن إذ نقدم هذه الوسائل فإننا نعززها بأمثلة حية وحديثة للاستدلال أولا على أن الآخر مُصِرٌّ على الإساءة والتشويه رغم ما يمرره في الوقت ذاته من شعارات داعية إلى الحوار ومزيد من التقارب بين الأمم والشعوب والتواصل بين الديانات والثقافات، وثانيا لنبين أن قراءتنا هي قراءة موضوعية تنطلق من منطلقات علمية صرفة، وليست قراءة تصادمية ذات طابع وجداني معين، وإن كان الطابع الوجداني العاطفي هو هدفنا الأول والأخير طبعا من منطلق الدفاع الهجومي عن الإسلام وعن النبي الكريم وما يتعرض له من استهزاء واستخفاف متواتر، وثالثا هي أدلة قاطعة على كل ما يروج له من هرطقات وما يبث من أراجيف عن الإسلام والمسلمين؛ لأننا لا نحب أن نفتري على الآخر – ولا يفتري إلا الجهلاء –؛ فنحن أمة تحمل رسالة خالدة تقوم على أساس الحقائق الموضوعية والأحكام العقلانية والأفكار العادلة.

المحور الأول: مناهج التعليم والكتب المدرسية

تعد مناهج التعليم والكتب المدرسية الغربية أخطر وسيلة لتشكيل عقول الأطفال منذ طفولتهم على أساس العداء للإسلام، وتكوين جيل عدائي متجدد؛ لذلك فإن التركيز على المناهج الدراسية أمر مهم للأسباب التالية:

أولا: التنبيه إلى أن تشكيل العقول على الصورة النمطية يتم منذ وقت مبكر حيث تترسخ المعلومات في الأذهان، وكما يقول ابن خلدون:" التعليم في الصغر أشد رسوخا وهو أصل لما بعده؛ لأن الأساس إلى القلوب كالأساس إلى المَلَكات، وعلى حسب الأساس وأساليبه يكون حال من ينبني عليه"[1]، ولأن هذه الكتب لها القدرة على تعليم الفرد ممن يخاف ومن يحب وكيف يحب، ومن يكره وكيف يكره؛ بما تتضمنه من دسائس وتحريفات، وما تحويه من صور نمطية قاتمة ومشوهة وأفكار معادية يتم من خلالها إعطاء صور مغلوطة عن القرآن الكريم وعن النبي محمد عليه الصلاة والسلام والإسلام، والحضارة الإسلامية، والمسلمين عموما، وما تمرره من أحكام ومفاهيم تؤثر بشكل أو بآخر في الوعي والمتخيل الغربي، أضف إلى هذا أن هذه المناهج أو هذه المدارس هي التي يتكون ويتخرج فيها المفكر المنظر والكاتب الصحفي والإعلامي ورجل الدين والسياسي والمخرج السينمائي والفنان الكاريكاتوري.... وفيها يتم تكوين جيل عدائي مستمر وممتد، ومُصِرٌّ على الكره للآخر انطلاقا من مصادرها المحرفة والمتضمنة في عمومها روحا عدائية صريحة ضد المسلمين تاريخيا وواقعيا.

كما أن هذه الكتب يتم شحنها بالمواضيع التي يجهل الغرب حقيقتها جملة وتفصيلا، أو تلك التي لها علاقة بأحداث معينة تأثر بها الآخر من قبيل التعصب والتطرف والإسلام الرجعي أو التقليدي والمتخلف والعاجز عن مسايرة الحداثة....

---

[1] – مقدمة ابن خلدون: ص: 538، ط 5: 1984م، دار القلم – بيروت.

ومثلا في مقدمة كتاب "الإسلام والعالم العربي.."- وهو الكتاب الذي وددت أن أقدمه للقارئ نموذجا - إشارة مهمة إلى دواعي التأليف حيث تقول الكاتبة GEMA MARTIN MUÑUZ: "إن التعليم الابتدائي والثانوي كانا منذ سنين القاعدة الأساسية في تربية المواطنين من أجل الإرشاد والتكوين المستقبلي وللتعريف بحقيقة حضارة وتاريخ الآخر."[1]

ثانيا: إن مسألة المناهج الدراسية من أكثر القضايا المطروحة اليوم على الساحة الفكرية؛ ففي الوقت الذي يتم فيه تشويه صورة المناهج والمدارس الإسلامية واتهامها بتخريج المتطرفين والإرهابيين و بتصدير أفكار ومذاهب دينية متشددة لما تتضمنه - في متخيلهم- من مبادئ ضد التسامح والسلم،فإن المناهج في الدول الغربية على الجانب المقابل تربي أبناءها على الإرهاب الفكري وهو أشد وأخطر أنواع الإرهاب؛ لأنها تساهم في بناء الصورة النمطية عن العرب والمسلمين من خلال صياغة ذهن الطالب ووجدانه، وتحديد كيفية تعامله مع مجتمعه ونوعية تفاعله مع المجتمعات المحيطة به، خلال المراحل التعليمية المختلفة.

❖ المناهج الإسبانية نموذجا:

لابد من الإشارة في البداية إلى أمرين اثنين؛ أولهما أن إسبانيا كانت من بين الدول التي استجابت لفكرة إزالة الصورة المغلوطة من المناهج التي نادت بها منظمة اليونسكو عام 2004م، بالتعاون مع جامعة الدول العربية...لكن وللأسف مع وقف التنفيذ إثر معارضة يمينية وكنيسية، وثانيهما ومن منطلق الأخذ بمبدإ عدم السوائية

---

[1] - والنص: من مقدمة الكتاب ص: 11

"La enseñanza primaria y secundaria son unos años básicos en la educación de los ciudadanos , para su formación futura y para la comprensión de su propia cultura e historia y de las de los "otros" . como ha dicho MAXIME RODINSON " nadie odia o ama gratuitamente a un pueblo , un universo cultural ajeno. Las imágenes atraviesan el proceso habitual de la información y evolución de las ideologías ".

يمكن القول إن هناك مستشرقين منصفين اعترفوا بفضل الحضارة الإسلامية على إسبانيا وأوروبا عموما، وبحثوا بدقة وأمانة في الأصول، كما تجدر الإشارة إلى جهود بعض المؤسسات، فمركز "دارك نيومبا" مثلا في مدريد، الذي يشرف عليه الراهب "جاليندوا " قام بجمع المعلومات المحرفة في مذكرة في ثلاثين صفحة تحت عنوان "محمد والإسلام في الكتب التعليمية الإسبانية"،وقُدمت صور منها للملك الإسباني "خوان كارلوس" ولرئيس الحكومة ولوزير التعليم..ولغيرهم من المسؤولين وللسفراء العرب في مدريد.. [1].

لكن من جهة أخرى فإن المناهج الدراسية في إسبانيا – وعلى غرار مناهج التعليم الغربية– مليئة بالمغالطات والتشويه، في مراحل التعليم الابتدائية والإعدادية والثانوية... حيث تتناقل هذه المقررات عن بعضها البعض وعن كتب التاريخ مختلف الصور النمطية ويتم زرعها بشكل عجيب وغريب، وهي في عمومها تجمع على أن:"الله هو الذي كلف محمداً بتحرير الكتاب (القرآن الكريم)، ولا يُعرف هل كتبه محمد (ﷺ) أم أملاه، ولكن من المؤكد أن جزءاً كبيراً من هذا الكتاب قد تناقلته ذاكرة أتباعه...!، وهذا مثل من آلاف الأمثلة المحرفة عن عمد، أو عن جهل في الكتب المدرسية؛ لأنها تمثل معلومات شائعة ومنتشرة جيلاً بعد جيل في الكتب والمناهج...فالإسلام هو الدين الذي ابتدعه محمد، وأن أهم خصائص الإسلام تعدد الزوجات والأمر بقتل غير المسلمين وتحريم الخمر والخنزير، وهو دين العنف والحرب والدين الرجعي الذي يشكل خطراً على القيم الروحية للمسيحية...وأن الجهاد (الحرب المقدسة Guerra Santa) ركن من أركان الإسلام لأنه سبيل الظفر بجنة الخلد...!

[1]– من موقع: http://www.almujtamaa-mag.com

والأمثلة عديدة، وأقتصر على كتاب " تاريخ إسبانيا في العصور الوسطى: مسلمون ويهود ومسيحيون "[1]؛ حيث يعمد فيه الكاتب – فرناردو أثنار– إلى حذف "الشهادة" من بين أركان الإسلام وإدراج "الحرب المقدسة" حيث يقول: "وطبقا لتعاليم محمد المجموعة في القرآن فإن على المسلم الإيمان بالله والعمل في الحياة بشكل يؤهله في النهاية "بعد الموت" لدخول الجنة، ولكي يظفر بهذا عليه بالإضافة إلى اعترافه بقدرة الله والإذعان لمشيئته، والوفاء بأربعة أوامر أساسية: الصلاة خمس مرات في اليوم، وصوم شهر رمضان، والتصدق على المحتاج، والحج مرة في العمر إلى مكة إن استطاع، وإلى هذه الالتزامات ينبغي إضافة تلبية داعي الجهاد حال الضرورة إليه"[2].

وحتى نتتبع كثيرا من الصور النمطية الممررة عن طريق الكتب المدرسية أحب أن أقدم نموذجا لهذه الكتب وهو من المناهج الإسبانية، وأركز عليه ليس فقط لما فيه من صور نمطية مشوهة للذات الإلهية وشخص الرسول عليه الصلاة والسلام،والإسلام عموما، بل لأسباب أخرى أذكر منها:

أولا: هذا الكتاب لا يعد فقط كتابا معتمدا في المقررات الدراسية، بل هو دليل للأساتذة والمكونين كما يتضح من خلال عنوانه:

"El islam y el mundo árabe; Guía didáctica para profesores y formadores"

والترجمة الحرفية للعنوان هي: "الإسلام والعالم العربي: الدليل التربوي للأساتذة والمكونين".

---

[1] – وإنما اقتصرت على هذا النموذج من كتب التاريخ، لأنه أولا من المقررات، وثانيا لأن مدرسة المؤرخين الإسبان ؛ وهي إحدى مدارس الفكر الإسباني المتصلة بالتاريخ العربي والإسلامي، وهي أكثر المدارس التي تعمل كتاباتها على صياغة العقل الإسباني، وهؤلاء هم الذين يصيغون المقررات الدراسية أو على الأقل تصاغ هذه المقررات اعتمادا على كتاباتهم، وهؤلاء العاملون في مجال الدراسات التاريخية يسندون في أعمالهم على المتخصصين في مجال الدراسات العربية los arabistas وفي مجال الدراسات الإسلامية los islamilogos.

[2] – تاريخ إسبانيا في العصور الوسطى: مسلمون ويهود ومسيحيون، فرناردو أثنار، أنايا 1992، ص: 11.

ثانيا: إن هذا الصنف من الكتب يؤكد أن هذا العداء حديث ومعاصر، وتمرير هذه الصور النمطية لم يقف عند حد المستشرقين القدامى بل إن هذا الحقد تتوارثه الأجيال المتلاحقة؛ فالكتاب هذا من أحدث الإصدارات ط 1996 وطبعة 1998م -وإن كان هناك ما هو أحدث ألف في عام 2000 م وعام 2004 م -، وصاحبته من المعاصرين وتحمل شعار حوار الحضارات، ولها علاقات ومهام في عدد من المؤسسات في الدول الإسلامية...[1].

ثالثا: لأن الكتاب من تأليف نسوى؛ أستاذة استعانت بباحثتين في مجال الدراسات العربية، فهي رسالة موجهة إلى المرأة المسلمة من أجل الاشتراك في الكشف عن أغوار المستشرقين، والرد عما يوجب الرد والمساهمة في تصحيح صورة الإسلام بالفكر الجاد..وأن تستعين بالمتخصصين في اللغات الحية، وأن تشارك أخاها الرجل في ذلك، لأن الإسلام يدعو إلى هذا في مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾[2]، فلا ينبغي أن تكون المرأة في العالم الإسلامي إمعة للحضارة الغربية...وإنما عليها أن تعي وبجد خطورة المرحلة وجسامة المسؤولية، ولأن الهدف من هذا التنبيه ليس فقط معرفة والكشف عن أغوارهم وإنما هي رسائل توجه من أجل تأكيد الذب عن النبي محمد ﷺ وعن الإسلام، ولأن الغرب الذي يهدف إلى التخريب والتشويش على عقيدة المسلم، يرى في المرأة الوسيلة المثلى لتحقيق أهدافه؛ وكما يقول "صموئيل زويمر": "ليس غرض التبشير التنصير ولكن أقصى ما يجب على المبشر عمله هو تفريغ قلب المسلم من الإيمان"، ويكشف عن السبيل إلى ذلك وإلى السيطرة على العالم الإسلامي بقوله: "إن أقصر طريق إلى ذلك هو اجتذاب الفتاة المسلمة إلى مدراسنا بكل الوسائل الممكنة، لأنها هي التي تتولى عنهم مهمة تحويل المجتمع الإسلامي وسلخه من مقومات دينه".

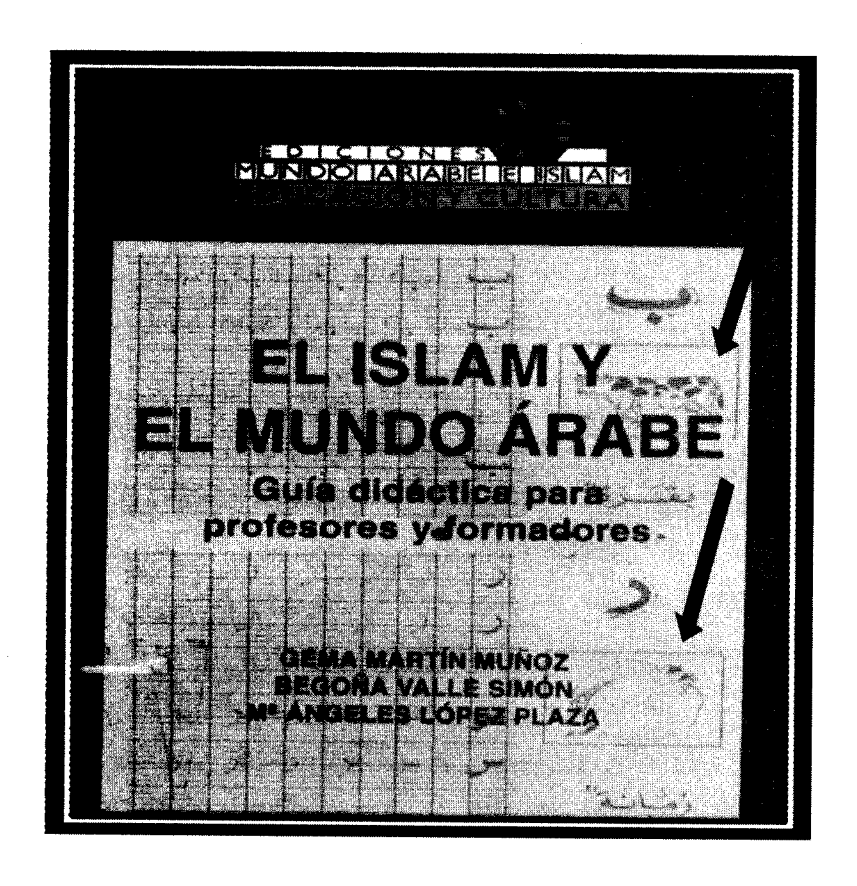
---

[1] - حسب ما هو وارد في سيرتها الذاتية المنشورة في موقعها على الإنترنيت.

[2] - التوبة / 71.

وقد سطرت على كلمة "مدارسنا" لأنني أجد فيها أحد الأسباب المدعمة لكلامي ولاختياري البدء بالحديث عن المناهج التعليمية.

وفي الوقت الذي يجلبوننا إلى مدارسهم فإن تعليمنا اختزلوه في حيوان لا يعقل وفاكهة يكتنفها الكثير من الغموض، كما يظهر من خلال غلاف الكتاب الآتي؛



- موضوع الكتاب:الإسلام، والحضارة الإسلامية.
- فصول الكتاب:في الكتاب خمسة فصول:

الفصل الأول: محمد والدين الإسلامي.

الفصل الثاني: الإسلام القروسطي (إسلام القرون الوسطى) EL Islam Medieval

الفصل الثالث:الأندلس.

الفصل الرابع: الإسلام المعاصر والراهن. EL Islam Moderno y Contemporáneo

الفصل الخامس: اللغة والأدب العربي.

الصور النمطية الواردة في الكتاب – نماذج

إن القراءة الأولية والتفكيك لكلمات العنوان قد يكشف عن أشياء وقد يغنينا عن أي تعليق، فهذا الكتاب يعد دليلا، وهو دليل للأساتذة والمكونين!

وعلى غرار مناهج المستشرقين فإن الصور المشوهة جاءت مبثوثة ومتناثرة في الكتاب؛ فقد يجد القارئ مغالطات عن الرسول ليس فقط في الفصل الأول الخاص "بمحمد والدين الإسلامي"؛ فمثلا لم يتم التطرق لموضوع "التعدد" في هذا الفصل، وإنما تم زرعه بشكل خفي في معرض الحديث عن المرأة في المجتمع العربي، في آخر الفصل الرابع: "الإسلام المعاصر والراهن" تحت عنوان "المرأة والأسرة"، في بداية الحديث عن حقوق المرأة ودعاة التحرير في الوطن العربي...

كما أن المادة العلمية للكتاب مأخوذة في عمومها من مصادر غير منصفة تماما، أو من كتابات تحتاج لكثير من الدقة والمصداقية. أما الاقتباسات التي تم إدراجها وتحليلها فهي في عمومها صور نمطية مغرضة.

أ- الله سبحانه وتعالى:

في هذا الكتاب يتم رسم صورة نمطية مسبقة ملخصة ومختزلة في أن للمسلمين إلها خاصا، وللمسيحيين إلها خاصا بهم؛ وتم التمييز في الاسم للتنبيه إلى وجود إلهين؛

حيث أطلق الكتاب على إله المسلمين تسمية: (ألا Alá) وأما إله النصارى فسمي: (ديوس DIOS) و هذا عند الحديث عن الذات الإلاهية كما هو واضح في الجملة الآتية:

"La palabra árabe Allah (castellanizada muchas veces en Alá) significa el Dios único y por tanto define al mismo Dios de cristianos y judíos "[1]

ب- النبي محمد عليه الصلاة والسلام.

• في الاسم: أول ما يلاحظ في الكتاب وعلى غرار الكتب الإسبانية التحريف الذي طال اسم النبي محمد عليه الصلاة والسلام، MAHOMA "محم" على الطريقة القشتالية [2].

• في تعريفه وصفاته: صورة الرسول ﷺ في هذا الكتاب لا تختلف عن الصورة العامة لرسول الإسلام عليه الصلاة والسلام في الكتب الغربية؛ فهو:

- قائد حركي ومصلح اجتماعي غرضه التوحيد بين القبائل:

"La reputación de Mahoma como líder de un movimiento que tenía por objeto trascender las diputas rivales fue suficiente para que Yazrīb le invitara a ser su árbitro "[3]

- قائد أكثر من أن يكون نبيا أو رسولا لله، بل وأصبح في مخيلتهم قائدا سياسيا وعسكريا بعد حركة الإصلاح: "...un líder politico y militar..."[4]

- أصبح محمد (ﷺ) بعد الاستيلاء على مكة رئيس دولة موحدة يحكمها وفق قوانين ومبادئ الكتاب المقدس:

---

[1] – ص:24 – 331 من الكتاب.

[2] – قشتالة Castella هي مملكة من الممالك النصرانية التي تكونت في الشمال في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، بعد تفريق كلمة المسلمين في الأندلس.

[3] – ص:30

[4] – ص: 31

"...el jefe del Estado , un Estado único , gobernado por las leyes y preceptos del preceptos del libro sagrado." [1]

■ التجربة الدينية لمحمد (ﷺ) تؤدي إلى الشك أو إلى حد أدنى

"La experiencia religiosa de Mahoma es puesta en duda o minimizada"[2]

■ محمد (ﷺ) هو كاتب: " القرآن "، والقرآن يجمع اعتقادات محمد:

" La doctrina de Mahoma está contenida en el Corán "[3]

■ الإسلام معروف بالمحمدية، والمسلمون محمديون:

"...los musulmames como «mahometamos..." [4]

■ و عند الحديث عن البعثة، تمت الإشارة إلى تاريخ مولد محمد (ﷺ)، وأنه كان سائقاً لقوافل تجارية، وأنه –بفضل حنكته التجارية وأمانته– أصبح ينعم بحياة رغدة بزواجه في سن خمسة وعشرين من أرملة موسرة وتاجرة تُدعى خديجة،

"En su juventud había conocido la pobreza del huérfano ,criado por un tío , Abu Talib , que le incorporó a sus empresas caravaneras.Su posición material había mejorado como resultado de su matrimonio a la edad de veinticinco años con Jadīŷa , una viuda rica mayor que él, a cuyo servicio había estado trabajando como hombre de confianza "5

■ استطاع (ﷺ) بفضل رحلاته مع قوافله إلى البلاد المجاورة – مصر وسوريا – أن يتعرف على الديانتين: اليهودية والمسيحية ومنهما سوف يستقي شخصيات وتعاليم من أجل العقيدة الجديدة التي سيبتدعها...

---

[1] – ص: 31

[2] – ص: 23

[3] – ص: 23.

[4] –ص: 24 – 341.

[5] – ص: 29.

"Se cree que en alguna de sus expediciones comerciales a Siria y en La Meca , Mahoma tuvo contacto directo con cristianos y judíos..." [1]

ت- الهجرة النبوية:

▪ هي هروب من مجتمع مكة، حيث إنه بعد وفاة زوجة النبي خديجة التاجرة، بدأت المشاكل السياسية تطفو على السطح مما دفع محمد (عليه الصلاة والسلام) للبحث عن الدعم في الخارج، وذهب إلى يثرب....

"En el año 619 murieron su esposa Jadīŷa y su querido tío y protector Abu Talib. Esta importante pérdida y las crecientes dificultades políticas, indujeron a Mahoma a buscar apoyos exteriores que le asegurasen la fidelidad de un nuevo medio, susceptible de acogerle a él y a los suyos."[2]

▪ وما يبين هذا كذلك اعتبار هذا "الهروب" الذي جرى هو بمثابة نقطة البداية لتقويم التاريخ الإسلامي:

"Tras largas negociaciones se transladó allí con unos pocos seguidores el año 622, que es conocido como el año de la migración (hiŷra o hégira) y es el punto de partida del calendario musulmán" [3]

▪ وتمت الإشارة إلى أنه في عام 630م استطاع محمد (ﷺ) الاستيلاء على مكة، وقام بتحطيم الأصنام؛ لكنه احتفظ بالكعبة (الحجر الأسود) بمثابة رمز ديني ومعبد مركزي لعموم المسلمين.

"La victoria osciló entre ambas partes pero Mahoma demostró su habilidad de estratega tomando finalmente La Meca hacia el año 630. Ordenó que se tiraran todos los ídolos y convirtió la Kaaba en un santuario musulmán..." [4]

---

[1] - ص: 29

[2] - ص:30

[3] - ص:30

[4] - ص: 31.

ث- الإسلام:

▪ الإسلام خطة أو شيء خيالي ومدبر؛ "El Islam , como utopía espiritual" [1]، وأنشأ من قبل محمد (ﷺ) ص:23، وتغيير الإسلام له علاقة بمحمد (ﷺ) وحده:

"el islam en un hecho estrictamente relativo a Mahoma y no a Dios"[2]

▪ الإسلام انتشر بالقوة والعنف، أو حسب تعبير الكتاب تجذر بالقهر والخضوع:

"..a fin de someterlos y de implantar el dominio de la palabra de DIOS en el mondo "[3]

▪ كما تمت الإشارة إلى أسباب مغلوطة ومشوهة عن الدخول في الإسلام؛ كاعتبار تصرفات محمد (ﷺ) وتسامحه مع كل الناس من أجل السيطرة على مجتمع مكة وإدخال أهلها في الإسلام:

"...y fue bastante tolerante con los habitantes consiguiendo que casi todos los mequíes abrazaran el islam." [4]

▪ واعتبروا التهرب من أداء الجزية سببا في الانضمام إلى الدين الإسلامي، كما في ص: 62

▪ وإلصاق تهمة الإرهاب بالإسلام انطلاقا من تصرفات بعض المسلمين أو من خلال بعض الدول الإسلامية، حيث يعطى المثال في معرض الحديث عن الإسلام المتعصب أو المتزمت في مثلا عن التجربة الإيرانية والخميني...[5]

---

[1] – ص:31

[2] – ص: 24

[3] – ص: 34.

[4] – ص: 31.

[5] – ص: 205.

ج-القرآن الكريم:

- هو كتاب الإسلام المقدس:[1] " libro sagrado del Islam "
- كتبه محمد (ﷺ) أثناء الحركة الدينية الكاملة:

El Corán fue escrito por Mahoma en plena acción religiosa [2]

- وفي معرض الحديث عن عدد سور القرآن الكريم، وبعد الإشارة "للفاتحة "التي اعتبرت مقدمة القرآن: " La introductora " لم تتم الإشارة وعلى سبيل التمثيل إلا لسورة البقرة وسورة الفيل: وهذا له مغزى ومعنى طبعا؛

"Así , encontramos la azora del elefante , la azora la vaca , etc". [3]

- في محور آخر خاص بالقرآن الكريم تم إدراج سورة الإنسان EL HOMBRE كاملة؛ لأن مضامين القرآن الكريم اختزلوها في قوانين المجتمع والإنذار بنهاية العالم (يوم القيامة) وذكر أوصاف الجنة، وسورة الإنسان تحمل هذه المعاني والدلالات والإشارات.

"El Corán contiene leyes para la sociedad, advertencias sobre el fin del mundo , descripciones del paraíso..." [4]

- القرآن الكريم خلال كل المرحلة المكية ظل يدافع عن محمد وما وجه إليه من اتهامات الأعداء بأنه شاعر وساحر ومجنون ومخادع ومسيطر...

" Durante todo el período de la Meca, el Corán defiende a Mahoma de las acusaciones de sus enemigos que

---

[1] – ص: 335.
[2] – ص: 23.
[3] – ص: 33
[4] – ص: 335

la califican de poeta , loco, mago, embaucador, poses y hechicero "[1]

ح- الحديث النبوي:

إن كان هذا الكتاب لم يتم في إدراج الجهاد من أركان الإسلام على غرار كتاب "فرناندو أثنار" وغيره من الكتب التي تم اعتمدت مصادر، إلا أن ما يمكن استقراؤه قد يكون أسوأ من ذلك؛ حيث إنه تحت عنوان "السنة- الحديث"[2] عنوان صغير: "أهم الشعائر" تمت فيه الإشارة إلى ثلاثة نماذج من الأحاديث، وهي حديث أركان الإسلام الخمسة ومباشرة بعده حديث عائشة رضي الله عنها عن الجهاد.

وللإشارة فإن هذه الأحاديث جاءت عارية من السند ومن ذكر الراوي ومن ذكر اسم الرسول ﷺ، وللبيان فهي وردت على الشكل الآتي:

• الحديث الأول:

"El islam se basa en cinco elementos: la recitación de la chahada (profesión de fe) ,es decir ,testificar que no hay mas Dios que allah y que Muhammad es su Profeta ;el cumplimiento de la oración ritual, la zakāt (limosna) ;la peregrinación y el ayuno en Ramadan "[3]

" بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله و إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان "[4].

---

1 – ص: 33

2 – ص:54

3 – ص: 54.

4 – أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب: بني الإسلام على خمس.

• الحديث الثاني:

"Aïcha bent Talha relató que Aïcha , Madre des los Creyentes , dijo:¡Oh , Enviado de Dios !Pensamos que el ŷihād es la mejor de las obras.¿ No podríamos ,nostras las mujeres, hacer el ŷihād ?_No , respondió él , ya que ,el mejor de los ŷihāds es una peregrinación realizada piadosamente "

عن عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: يا رسول الله نرى الجهاد أفضل الأعمال أفلا نجاهد ؟ قال: لا، ولكن أفضل الجهاد حج مبرور "[1].

• الحديث الثالث:

"No os envidiéis , no os hagáis ricos los unos a costa de los otros , no os odiéis, y no actuéis con perversidad los unos para con los otros y no negociéis en detrimento de otros. ¡Oh , Servidores de Dios !sed todos hermanos ;el Musulmán es hermano del Musulmán [2], no lo oprime , ni lo abandona ni le miente, ni la menosprecia. El temor de Dios está aquí. – y dijo esto mostrando tres veces su carraón, después aña-dio: lo peor de la maldad es despreciar a su hermano musulmán. Todo lo que pertenece al Musulmán es sagrado para el musulmán: su sangre, su bien , su honor."

" لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى ها هنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم،كل المسلم على المسلم حرام ماله ودمه وعرضه "[3].

---

[1] – أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب: فضل الجهاد والسير.

[2] – لقد قمت بالتسطير على هذه الجملة للتبيين فقط، وليس ذلك في أصل الكتاب.

[3] – أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب: تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره... عن أبي هريرة (ض) قال: قال رسول الله ﷺ.....

❖ تعليق لا بد منه:

تم إدراج سورة الإنسان لأن فيها من المعاني والأحكام ما يوافق هدف الكتاب في زرع البلبلة في العقول وتشويه الدين الإسلامي على أنه دين الوعد والوعيد فقط، فهذه مجرد جزئية لا تكتمل مقاصد القرآن إلا بها. ولم تتم الإشارة – عن قصد طبعا– إلى سورة الروم مثلا وسورة مريم... وأن القرآن الكريم فيه كذلك كلام وذكر محمود عن النصارى، وفيه أوصاف نبوية نبيلة عن سيدنا عيسى عليه السلام ولم يسئ الكلام عن مريم؛ كما أن سورة الروم والآيات الأولى منها خصوصا فيها بشارة عظمى لنصارى الروم ووعدهم بالنصر على الأعداء.. في قول الله تعالى: ﴿الم غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر الله من يشاء وهو العزيز الرحيم﴾[1].

أما الأحاديث المذكورة فلها دلالات خاصة عندهم؛ فالحديث الثاني يستدلون به على أن الجهاد ليس واجبا، والحديث الثالث ركزوا عليه لتعزيز مقولة الغرب بأن الإسلام دين يتصادم ولا يتعايش، وأن المسلم عدو من ليس على دينه، فلم يتم ذكر الأحاديث التي تبين معاملة الرسول ﷺ لليهود، وأن دعوته عليه الصلاة والسلام جاءت للناس جميعا دون تفريق بين عربي ولا عجمي ولا أبيض ولا أسود إلا بالتقوى...وسيأتي الحديث عن هذا في القسم الثاني من هذه الدراسة.

خ-العقيدة الإسلامية:el dogma del Islam

أهم ما يميز العقيدة الإسلامية على حد تعبير الكتاب: البساطة، فإضافة إلى الصلاة والحياة العادية يكفيك أن تنطق بالشهادة.

[1] - سورة الروم، آيات 1- 5.

"La principal característica del dogma islámico es sencillez, tanto en la oración como en la vida cotidiana. La profesión de fe por excelencia, denominada chahāda...." [1]

د-الجزيرة العربية.

■ أما الجزيرة العربية – مهبط الوحي- لم تصور عندهم إلا أنها مجتمع قبلي بدائي ومجتمع مولد للعنف والعدوان...

"Sin embargo, la sociedad de este conglomerado de pequeños Estados autónomos era rudimentaria y sencilla, si bien a través de las rutas caravaneras había llegado algo de la cultura material e intelectual de Persia y Bizancio.Probablemente por esta vía fue como llegaron los textiles, el vino y el arte de la escritura" [2]

■ مجتمع فقير لم يكن لديه أي موروث معماري خاص به، وإنما استمد وأخذ التقاليد والعادات والثقافات عن طريق الفتوحات والغزوات من الحضارات الأخرى مثل الفارسية والبيزنطية واليونانية:

"La labor más importante que realizaron los árabes fue la de crear una cultura de síntesis de todas las culturas de los pueblos que Conquistaron"[3]

«mostró gran aptitud para apropiarse de las esencias culturales de los países que sometía o con los que establecía algún contacto , romanos , bizantinos , persas, visigodos , cristianos, coptos...." [4]

---

[1] - ص: 34.

[2] – ص: 28

[3] –ص:60.

[4] – ص: 60.

■تبادل الثقافات والاستفادة من الحضارات الأخرى هو الذي أعطى القوة للبلدان الإسلامية التي كانت تفتقر لذلك:

«Pobres en tradiciones culturales, los musulmanes asimilaron el saber de los pueblos sometidos "[1]

■إسبانيا الإسلامية هي الطريق للحضارة الإسلامية:

«Así mismo ,por la importancia que la España musulmana tuvo como vía de transmisión a Europa de la cultura islámica ,se debería dedicar más espacio a enseñar a los estudiantes el alcance del desarrollo de la civilización islámica clásica y su progreso cultural y científico en la campo de las diversas ciencias y artes."[2]

ذ- العرب:

■هم في الجوهر بدو رحل....

" El pueblo árabe , esencialmente nómade … "[3]

ر- المبادئ والقيم الإسلامية.

إن عموم المواضيع التي يتناولها الكتاب لا يتم فيها التركيز على الأصول العامة والقيم الثابتة والنبيلة التي يحث عليها الإسلام من عدل ومساواة وتسامح، كما لا يتم التعريف بالأصول الاجتماعية والسياسية للإسلام ولا بالعوامل الحقيقية التي ساعدت على انتشاره. وإن تمت الإشارة إلى بعض المبادئ والخصائص مثل الزكاة والجزية...فلا تتناول بالشكل الحقيقي بل غالبا ما يراد منها مفهوما نمطيا، والمواضيع الرئيسية عندهم هي التي تصدم الثقافة الغربية ولا تتناسب والقيم الغربية؛

---

[1] -ص: 61
[2] -ص: 61
[3] -ص: 60

من قبيل تعدد الزوجات، وتحريم الخمور، والجهاد...وتعرض بعيدا عن مبادئ الإسلام و إغفال الأهداف العامة من ورائها تشريعها أو تحريمها...

▪الجهاد: هو الحرب المقدسة " Guerra Santa"....والمتدين يجب أن ينشر الدين بالقوة،ص: 24، ص: 59، ص: 345-346. و أما الغزو فله دافعان: أولهما القرآن الذي يدعو للشهادة وأن من مات شهيدا يذهب إلى الجنة، وثانيهما هو ضعف الأراضي العربية وانعدام الإمكانيات...ص:59.

▪الجزية: يشير الكتاب إلى أن غير المسلمين يُلزمون بدفع الجزية مما يجعلهم يدخلون في دين الإسلام للهروب من دفعها ....

" El islam se limitó a imponer a cristianos y judíos un impuesto por conservar su religión , considerándoles una minoría <<protegida por pacto>> (dimmí) libre con respecto a sus personas , propiedades y creencias. Este hecho muestra que las conquistas no se realizaron tanto con el objetivo supremo de <<propagar el islam>> como de establecer un poder musulmán y constituir un imperio, como antes lo habían hecho los romanos." [1]

▪تعدد الزوجات:

▪مسألة تعدد الزوجات كانت متوقعة من طرف محمد (ﷺ)، وهي عادة قديمة في أوساط العرب، وكل ما قام به محمد (ﷺ) بشأنها هو التحديد وليس المنع...

«La poligamia era un principio existente en el matrimonio pre islámico y, por tanto, Mahoma no la <<previó >> sino que limitó la liberalidad de su uso y la desaconsejó " [2]

[1] – ص: 62.
[2] – ص:248.

▪ظاهرة تعدد الزوجات تسبب في النمو الديموغرافي الذي يعد دعامة أساسية لانتشار الإسلام:

"...se garantizaba un rápido incremento de la demografía necesaria para la pujanza del islam."[1]

خلاصة:

إن الكتب المدرسية ومناهج التعليم هي من الوسائل التي لها تأثير عميق في فتح الهوة من عدم التفاهم بين الناشئة من الأوربيين والإسلام، ذلك أن الصورة التي تقدمها هذه المناهج عن الإسلام والنبي محمد ﷺ هي في مجملها صورة قروسطية قاتمة، وهذه إن كانت نظرة تشاؤمية فهي حقيقة واقعية أكثر مما قد ينظر لها في "صدام" أو " نهاية " أو "صراع ".

تذييل:

غير بعيد عن الكتب والمناهج الدراسية فإن التراث الغربي عموما وما يحويه من أفكار خاطئة يمكن أن يشكل قنابل موقوتة تفجر في أي لحظة أزمة أو أزمات، كما أن الأساتذة المحاضرين يساهمون بشكل أو بآخر في نشر الأفكار المسمومة؛ وهذا يؤكده بجلاء ما أسفرت عليه محاضرة بابا الفاتيكان "البنيديكت السادس عشر" التي ألقاها بإحدى الجامعات الألمانية في موضوع: " العقيدة والعقل والجامعة "، هذه المحاضرة التي لم تكن نتيجة سوء فهم، بل عن عمد و قصد و جهل مركب، خصوصا وأن الرجل و هو رجل دين لم يكلف نفسه البحث عن الحقيقة بل اكتفى -كغيره- بالاقتباس والإحالة على ذلك النص لـ "تيودور خوري" (THEODORE KHOURY) الذي ضمنه مناظرة بين القيصر البيزنطي وبين أحد المثقفين الفرس

---

[1] – ص:248.

بقوله:" أرني ما الجديد الذي أتى به محمد ولن تجد سوى كل ما هو سيئ وغير إنساني مثل أنه أوجب نشر الاعتقاد الذي يعلمه بحد السيف..."[1]، وهو بهذا إن لم يكن حقا قصد الإساءة فإنه جاهل بأنه يجهل الحقائق وهو ممن يصدق عليه حقا قول الله تعالى:

﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ظل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾[2].

---

[1]– والنص كما ورد باللغة الألمانية:

" Zeig mir doch , was Mohammed Neues gebracht hat und da wirst du nur Schlechtes und Inhumanes finden wie dies , daß er vorgeschrieben hat , den Glauben , den er predigte , durch das Schwert zu verbreiten" ترجمة منشورة بمجلة الأزهر، عدد خاص " هذا هو الإسلام / حوار هادئ مع قداسة بابا الفاتيكان "رد شيخ الأزهر محمد سيد طنطاوي، عدد: ذو القعدة 1427هـ/ دجنبر 2006م .

[2]– سورة الكهف، آية 103 – 104.

المحور الثاني: وسائل الإعلام.

توطئة:

إن الصورة العامة للإسلام والمسلمين في الإعلام وإن كانت تعكس حالة من سوء الفهم فإنها ترسخ فكر الحقد وسوء القصد والجهل المركب في عموم الأحوال؛ وهي لا تقل تشويها عن تلك التي يتم تمريرها عن طريق مناهج التعليم، بل إن الإعلام يقويها ويغذيها بما يقدمه وباستمرار من مواد تكرس تلك الصورة النمطية القاتمة التي يتم عرضها عبر الفضائيات العابرة للقارات والكاسحة للأدمغة وعلى مدى الأربع والعشرين ساعة؛ خصوصا وأن العناصر المعادية للإسلام هي التي تحتكر في الغالب السيطرة على أجهزة الإعلام وتوجهها بأفكارها وبإمكانياتها الهائلة، وأهدافها السلبية، وأساليبها المختلفة؛ سواء الترهيبية منها التي تهدف إلى التخويف من المجتمعات الإسلامية، أو التعميمية التي تقوم بتعميم أخطاء فردية أو تجارب خاصة بفترة معينة أو مكان معين أو أشخاص معينين على كافة العالم الإسلامي وعامة المسلمين، والتركيز على نقل بعض الأحداث الإرهابية أو بعض التصرفات الخاطئة ومحاولة إلصاقها بالإسلام، أو التاريخية التي تهدف إلى تذكير الغرب بالمواجهات القديمة والتشكيك في نوايا وأهداف المسلمين. فالإعلام الغربي يركز على القضايا التي تصف الإسلام ليس كدين بل كإيديولوجية سياسية ويعرضها وفق ما يخدم مصالح الغرب بتجسيد خرافة الخطر الإسلامي، وتكريس فكرة التطرف الإسلامي والتخلف الاجتماعي، وتغذية ظاهرة الإسلاموفوبيا؛ لأنه "عندما تركز وسائل الإعلام على العنف، يجيب الجمهور بكرهه للإسلام أو ما يسمى بالإسلاموفوبيا"[1] كما قال كاي حافظ[2]...وهذا كله له تفسير واحد وهو الجهل المطبق، أضف إلى ذلك أن الإعلامي الذي تشبع في طفولته بتلك الأفكار الخاطئة والمفاهيم المغلوطة فإنه – وعن جهل منه

---

[1] – دور الإعلام في العلاقة بين الغرب والإسلام، ملتقى لوغانو جنوب سويسرا 16 –17 مارس 2007، عن مجلة SWISSINFO النسخة العربية الإلكترونية 22 مارس 2007م، في مقال تحت عنوان:"اعترافات بانحراف الإعلام الغربي في حديثه عن الإسلام ".

[2] – خبير وسائل الإعلام بجامعة إيرفورت الألمانية.

أو عن قصد – يكتفي في جميع الأحوال بالأخذ من المصادر الثانوية التي تكون في الغالب مليئة بالفرضيات والأحكام المسبقة والنظريات الخاطئة.

❖ الإعلام الأمريكي نموذجا:

لقد ساهم الإعلام الأمريكي بشكل كبير في تمرير صورة قاتمة عن الإسلام والمسلمين، ليس فقط في أثناء أحداث أيلول بل قبل ذلك وبعد، وبات هذا الإعلام يشوه صورة الإسلام بما أوتي من قوة مادية وبشرية؛ و ليس غريبا أن يكون هذا الإعلام على هذا النمط إن كان الإعلامي أو الصحفي الأمريكي من جهة – وكما قال "ليو جيفري " – يبحث عن الخبر والمعلومة ليس من أجل قيمتها الثقافية والمعرفية، وإنما من أجل مساحة الإثارة والاهتمام التي تحدثها لدى الرأي العام الذي يمكن أن يستثريه الخبر[1]، وإن كان من جهة أخرى أكبر الشبكات التلفزيونية[2]، وأكثر الجرائد والصحف[3] مبيعا تسيطر عليها شركات يهودية كبرى وتدار من قبل يهود،كما أنه يكفي زيارة بعض المواقع التي تهاجم علنا الرسول ﷺ والإسلام.

أما الصحف والجرائد الصادرة في الولايات المتحدة الأمريكية مثل: u.s.news , losangles times, Washington post , news week herald tribune , فلا تخلو صفحاتها من الحديث عن الإسلام والإرهاب وربط الإرهاب بالإسلام، والجهاد والحرب المقدسة، والإسلام السياسي والإسلام التقليدي...؛ فمثلا ومن خلال قراءة سريعة لأعداد من صحيفة losangles times خلال العام الواحد2008/2007م يتبين حجم الاهتمام بالمواضيع ذات صلة بالإسلام والرسول عليه الصلاة والسلام، كما هو مبين في الجدول الآتي:

---

[1] – مفكرة الإسلام، محاذير في فهم الإعلام الأمريكي، الأربعاء 7 ربيع الأول1427هـ 5 أبريل 2006م، نقلا عن مجلة أخبار الصحافة / تغير دور الصحفي في عصر التلفاز.

[2] – أكبر الشبكات التلفزيونية الأمريكية وهي: CNNو ABC و CBS و NBC

[3] – وهي: New York times و Washington post و wall street journal

المـــــادة	عدد المرات / خلال السنة الواحدة
إسلام / Islam	أكثر من 2000
إرهاب / terrorism	تصل إلى 1000
الإسلام التقليدي /traditional Islam	296
الحرب المقدسة /holly war	1160
النبي محمد / prophet Muhammad	330
الجهاد/ jihad	792

بل إن الإسلام يحظى باهتمام في الصفحات الرئيسية وفي افتتاحيات المجلات، وقد تتنوع مجالات الحديث عن صورة الإسلام في العدد الواحد؛ فمثلا ومن خلال تصفح بعض أحدث الأعداد الصادرة من مجلة The Economist [1] يلاحظ كيف يتم تصوير الإسلام من خلال ربطه بدولة معينة أو حالة خاصة أو ظاهرة من الظواهر أو نظام ما، ففي العدد 8561 [2] مثلا نجد الفهرس العام يأتي على الشكل الآتي:

- Islam and phobia /P:34
- Islam in Indonesia(where soft Islam is on the march) / P:35

---

[1] – هذا نموذج لمجلة اقتصادية صادرة في الولايات المتحدة الأمريكية ووددت التركيز عليه – مع كثرتهـــا– للتنبيه إلى أنه إن كانت مجلة اقتصادية تخوض في مواضيع عن الإسلام لا صلة لها البتة بالاقتصاد، فمـــا بالك بالمجلات التي تهتم بقضايا الدين والفكر والثقافة والعلاقات الدولية...

وللإشارة فإن العديد من المجلات الصادرة في الولايات المتحدة الأمريكية باتت تكتسح أسواق العالم الإسلامي سواء في نسخها الإنجليزية أو العربية ناهيك عن النسخ الإلكترونية مما يفسر قدرة هذا الإعلام على الانتشار والتأثير، ورغبته في السيطرة والتعميم... هذا في الوقت الذي تظل فيه المجلات الصادرة في العالم الإسلامي – خصوصا تلك التي تهدف إلى إبراز الصورة المشرقة للإسلام –رهينة حدود البلـــدان الإسلامية، وفي كثير من الأحيان حبيسة حدود البلد الواحد...!

[2] – السنة: يناير 12–18 / 2008م.

- the sadness of the Arabs (why the are in a gloomy mood) / P:40
- Islam and democracy /P:53

هذا بغض النظر عن المواضيع التي لا يكشف عنوانها عن الأفكار العامة.

ويشير المقال الأول Islam and phobia إلى أن أوربا أصبحت "Eurabia " تجتاحها جماعات من المسلمين قصد الجهاد وتطبيق الشريعة..."، أما صفحات الإسلام في أندونيسيا Islam in Indonesia فتعرض صورة لفتيات محجبات في استعراض للمرشات العسكرية، ولم يفت صاحب المقال أن يربط بين الإسلام والتصرفات الخاطئة للمسلمين من خلال نقل تقرير لـ Greg Fealy – وهو أسترالي مختص في إسلام أندونيسيا على حد تعبيره – ويفيد التقرير أنه في بعض المناطق الأندونيسية هناك العديد من فتيات المدارس يلبسن الحجاب وهن مجرد مقامرات وعاهرات وسكيرات:

"there are more schoolgirls wearing the headscarf but just as much gambling , prostitution and drinking as before "[1]

ولم تغفل المجلة الحديث عن العرب وأنهم شعب مستاء وحزين – وهو ما اكتشفه جورج بوش خلال زيارته للشرق الأوسط –، ويجيب المقال عن السؤال الذي طرح في العنوان عن العوامل المساهمة في كآبة العرب the sadness of Arabs والتي أجملها في التزايد السكاني وضعف نظام وأساليب التعليم العمومي وفوق كل شيء –يضيف– السياسة هي السبب الرئيسي الذي يصوغ هذا الاستياء وسخط الأجيال.

أما عن اختزال الإسلام من خلال الأوضاع العامة في بعض الدول فيبدو واضحا في العدد 8561[2] من نفس المجلة حيث يظهر في الغلاف صورة على شكل عبوة ناسفة تحمل اسم وشعار الباكستان وفوقه عنوان عريض:أخطر مكان في العالم.

---

[1] - the economist , p: 35

[2] – السنة: يناير 5– 11/ 2008م

the world's most dangerous place، وينطلق صاحب المقال في الافتتاحية من فكرة "أن باكستان ليست فقط ملاذا للقاعدة وأسامة بن لادن أو الأكاديمية التدريبية للعمليات الانتحارية ــ بل تعتبر البلد الثاني في العالم الذي يضم أكبر عدد من المسلمين..."[1].

أما عمل المرأة المسلمة فله اهتمام خاص ضمن صفحات الإعلام الأمريكي، خصوصا إذا تعلق الأمر بالمرأة المتحجبة؛ ففي مجلة TIME نشر تقرير عن سائقات سيارة الأجرة في إيران، و التركيز في الخبر على ظاهرة الحجاب، وعمل المرأة في ظل الأعراف والتقاليد.

ومن وراء الخبر يظهر نجاح المخطط الغربي في تحقيق المساواة في الحقوق والحريات حسب ما نصت عليه المواثيق والاتفاقيات الدولية؛ مثل اتفاقية السيداو CIDAW التي نصت في الفقرة 3 من المادة 11 على: "...الحق في حرية اختيار المهنة ونوع العمل..." وفي نشر فكرة المساواة بين الرجل والمرأة في العمل نوعية وكيفية، وزمانا ومكانا، ودون مراعاة الفوارق البيولوجية والفسيولوجية والسيكولوجية؛ وهو ما أكده مثلا إعلان بكين (سبتمبر 1995م)، في المادة 16: "أن القضاء على الفقر بالاعتماد على النمو الاقتصادي المطرد والتنمية الاجتماعية وحماية البيئة وتوفير العدالة الاجتماعية يقتضي إشراك المرأة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وتحقيق تكافؤ الفرص ومشاركة المرأة والرجل مشاركة كاملة على قدم المساواة باعتبارهما من عوامل تحقيق التنمية المستديمة الموجهة لخدمة البشر وباعتبارهما مستفيدين منها".

---

[1] – ص: 7.

وفي المقابل إذا جمعنا الصحف التي تصدر في العالم الإسلامي خلال العام الواحد أو لأعوام متتالية فلن نجد ذكرا للمقدسات الدينية أو لمعتقدات الآخر، وإن وجدت فبعيدا عن العجائبية والغرائبية التي يــتم في إطارها تناول صورة الإسلام والمسلمين والدول الإسلامية في الإعلام الغربي، بل وإن إعلامنا إن تجــرأ على الخوض في الكلام عن الآخر فقد لا يتعدى إحصاء مآسي وآثار الغــرب في الــشرق الأوســط وفلسطين وباكستان وأفغانستان...ولكن أحيانا كثيرة باللمز والغمز فقط.

حيث يركز صاحب المقال على التصريحات الموازية وهو ينقل آراء إحدى السائقات وهي يقول:" عندما حصلت على هذا العمل أدركت أن المرأة يمكنها أن تكسب أكثر من الرجل "

"once I got this job , I realized that women can earn more then men"[1]

بل يشير قبل ذلك صاحب المقال إلى تشبث المرأة بالتقاليد والمبادئ الإسلامية الأساسية، مثل رفض الغناء والرقص بمفردها أمام الرجال، وعدم جواز خروجها أو سفرها بدون إذن زوجها، من أجل تنفيذ مبدإ التمييز بين الجنسين تعزيز أو الحفاظ على خصوصيات المرأة، لكن من السخرية –يقول– أن هذا التمييز هو الذي سمح للمرأة بتحقيق الاستقلال المادي عن الرجال.

"Still, a raft of other restrictions to exist in Iran: women are not allowed to dance or sing a solo in front of men , or to travel abroad without a husband's permission. The point is to enforce the segregation of the sexes and promote the "moral" womanhood of upstanding mothers and wives. The irony is that this very segregation is allowing Tehran's female taxi drivers to achieve financial emancipation from men." [2]

وهذا الاستقلال المادي هو ما نصت المادة 26 من الإعلان نفسه: "تعزيز الاستقلال الاقتصادي للمرأة، بما في ذلك توفير فرص العمل لها والقضاء على عبء الفقر المستمر والمتزايد الواقع على المرأة من خلال معالجة الأسباب الهيكلية للفقر، عن طريق إجراء تغييرات في الهياكل الاقتصادية، وضمان تحقيق المساواة في وصول جميع النساء – بما في ذلك المناطق الريفية باعتبارهن من الأطراف الحيوية في عملية التنمية – إلى الموارد الإنتاجية والفرص والخدمات العامة".

---

[1] – Time , 20 October 2008 vol: 172 , n: 16, p: 38

[2] – Time , p: 38

المحور الثالث: الصناعة السينمائية / الأفلام

إن الروايات الشعبية وما تحمله من توجه عدائي يتم تجسيده ونشره عبر أفلام هوليود وغيرها تعرض الإسلام وبشكل نمطي على أنه دين إرهاب ودين مولع بالحرب، وأن العرب سيئون وإرهابيون وعدوانيون ومجرمون وأشرار، وأنهم أقل إنسانية من الغربيين، ومتخلفون كما في الفيلم البريطاني (سيف الإسلام).

وأما المرأة فمذعنة وضعيفة، وهي وسيلة فعالة للتشويه وتمرير سياسة التفكيك الأسري، ومادة دسمة لإنجاح الروايات والأفلام الرومانسية المشَوِّقة والمشوِّهة، والأدب الجنسي المكشوف، فهي –حسب تصورهم وتصويرهم – في كل الأحوال وفي جميع الصور مذعنة وخاضعة بلا قيم ولا أخلاق.... ومن خلالها يظهرون الشرق موطنا للفساد الأخلاقي بشتى صوره. وأن اللغة العربية بربرة هزلية مثل فيلم (والد العروس).

ولم تسلم الأفلام المقدمة للصغار والمعروفة بالكارتون من تمرير تلك الصورة عن الإسلام مثل فيلم (علاء الدين) الذي يظهر المسلمين على أنهم يعيشون من أجل المتعة الجسدية وأن الإسلام يعني عصر الحريم...[1].

لكن صناعة الأفلام وتجارتها –التي تعد أهم مرتكزات الخطاب الغربي المؤثر– لم تعد تقتصر على هذه النظرة الخيالية للعربي والمسلم، أو النظرة الدونية للمرأة المختزلة في العنف والشبق، بل أصبحت تمس مباشرة القرآن الكريم جملة وتفصيلا؛ حيث وضع القرآن في الواجهة، أن تم إحراقه وتدنيسه في أماكن مختلفة من الدول الغربية وفي مناسبات متباينة...

---

[1] – التربية الخاطئة للغرب /كيف يشوه الإعلام الغربي صورة الإسلام، تحرير: جوكينشلو وشيرلي شتاينبرغ، ترجمة: حسان بستاني ط1 (2005)/ الفصل الثامن: إبراهيم أبوخطالة، الغول الجديد تحت السرير، ص:245–248.

– صورة الإسلام في الإعلام الغربي، محمد بشاري/ط دار الفكر (2004م)،ص:129–130.

❖ الفيلم الهولندي نموذجا:

أصبحت هولندا أقرب إلى الذاكرة كلما ذكر موضوع تشويه القرآن الكريم من خلال الصناعة السينمائية؛ حيث إنه لم يلتئم جرح حتى ظهر جرح رغيب؛ ففي ظرف سنتين أو أقل تم إنتاج فيلمين على أعلى مستوى من التشويه؛ ففي سنة 2004م عرض فيلم "الخضوع" SUBMISSION[1] للمخرج الهولندي "ثيو فان خوخ"، والفيلم يعتبره المحللون أحد جذور اندلاع أزمة الرسوم الكاريكاتورية، وقد تم تصوير أربع نساء شبه عاريات كتب على أجسادهن -التي تظهر عليها آثار تعذيب- آيات من القرآن الكريم، وهن يتحدثن عن تعرضهن للضرب ولعمليات اغتصاب من قبل أقاربهن، فالمخرج في هذا الفيلم المثير للجدل حاول ربط ظاهرة العنف العائلي بتعاليم الدين الإسلامي حسب اعتقاده؛ هو من باب الافتراء وضرب من الهراء وخلط بين تعاليم الإسلام وتشريعاته وبين سلوكيات وتصرفات بعض المسلمين مع نسائهم.

وهذا العام -2008م- يأتي الفنان الهولندي زعيم اليمين المتطرف "خيرت فالديرز"[2] ليتخذ من تشويه القرآن الكريم مدخلا لكسب عقول وقلوب الهولنديين بل وأصوات السياسيين المؤيدين والسيطرة على عواطفهم من خلال الفيلم الجديد "فتنة "؛ الذي أراد من خلاله حقا إثارة الفتن.

---

[1] – وقد اعتمد المخرج في هذا الفيلم على أفكار أيان حرزي علي الصومالية الأصل التي ارتدت عن الإسلام إثر هجمات 11 شتنبر، والتي حازت على مقعد في الحزب الليبرالي الديموقراطي VVD نظرا للمواقف المضادة والأفكار الحاقدة التي كانت تنشرها عن الإسلام.

[2] – وللتذكير فإن هذا الرجل قد سبق وأعلن حملته المسعورة ضد القرآن الكريم وطالب الحكومة الهولندية بإصدار قرار حظر القرآن الكريم ومصادرة تداوله أو بيع المصاحف على الأراضي الهولندية وقال: "إن هذا الكتاب (القرآن الكريم) كان يجب حظر تداوله أو ترويجه في هولندا منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية، لأنه كتاب فاشي ذو تعليم فاشية.....ويجب حظره على غرار الحظر المفروض على كتاب (كفاحي) لأدولف هتلر زعيم النازية، وإن المسلمين يتخذونه ذريعة ووحيا لفكر العنف واستخدام التطرف " عن شبكة الأخبار العربية بتصرف، بتاريخ 12 ذو الحجة 1428هـ/ 22 شتنبر 2007م. فانظر كيف تتم المقارنة جهلا بين كتاب منزل من عند الله تعالى، وبين كتاب من تأليف مخلوق...!

وقد لا نهتم كثيرا إن كان الفيلم قد عرض أم لا، ولكن لا نشك أن شريحة معينة من المجتمع الهولندي – وخصوصا الفئة المستهدفة من الموالين للحزب اليميني والإعلاميين– لم تفتها فرصة الإطلاع عليه أو على أبرز لقطاته.

وبغض النظر عن كون هذا الفيلم يسيء للإسلام والقرآن الكريم وهو الهدف الذي سعى إليه المخرج، فإن الذي غفل عنه حقا أن هذا العمل والظرفية التي قدم فيها الفيلم تتعارض حتما مع مبادئ الديموقراطية الأساسية كما أجمع على ذلك أغلب المعارضين الأوربيين.

فكيف نحكم إذن على أمثال على الرجل، وشبيه هذه التصرفات والإساءات والظواهر التي بدأت تلوح في الأفق، هل هي من أجل تحقيق أغراض شخصية ومصالح ذاتية، وهل هؤلاء فهموا حقا الإسلام وباتوا يخشونه على مصالحهم وسلطانهم لذلك يكيدون له كل ذلك الكيد، أم ثمة تفسيرات أخرى....؟

وحقا أقول ما ذكره د: حسن عزوزي من أن كل ما يثار عن الإسلام إنما يعود أصلا إما إلى عداء وحقد دفينين أو إلى جهل وسوء فهم بالغين لحقائق الإسلام وتعاليمه[1].

---

[1] – د: حسن عزوزي: دور الصحافة المكتوبة في تصحيح صورة الإسلام في الغرب، بحث ضمن العدد الثالث من سلسلة تصحيح صورة الإسلام: تصحيح صورة الإسلام في الغرب بين حملات التشويه وواجب التصحيح، ص: 110.

المحور الرابع: الكاريكاتير.

يقول پول فِندلي بعد عرضه نماذج من الإعلام الأمريكي وكيفية رسمه وتمريره لصور مشوهة: "مثل هذا التنميط للعرب شائع في الرسوم الكاريكاتورية، وينقل عن "كريغ ماكنتوش" رسام كاريكاتوري في صحيفة "مينيا بوليس": أن العرب دائما بالثوب الفضفاض والفلسطيني دائما بلباس الإرهابي حامل البندقية"، ونقل في نفس المقال عن "روبرت انغلهارت" رسام الكاريكاتير في صحيفة "جورنال هيرالد" قوله: "أستطيع أن أرسم العربي كقاتل وكذاب ولص ولن يعترض أحد، ولكني لا أستطيع استخدام صورة نمطية لليهودي وأشعر دائما وكأنني أسير فوق البيض عندما أحاول أن أرسم شيئا عن الشرق الأوسط"[1].

هذه هي صورة العربي في مخيلة الآخر، وبهذه الطريقة تمارس حرية التعبير، وهذه الصورة هي التي تعكس من خلال الكاريكاتير وتقدم للقارئ في قوالب التنميط وتكريس الكره والعداء، حيث يتلقاه المتلقي على أنها حقائق ثابتة.

ولم يعد هذا الفن يقتصر على تصوير وقولبة كل ما يتعلق بالعرب والمسلمين وتشويه صورهم والعبث برموزهم الدينية، بل إن الأمر تعداه إلى حد السخرية والاستهزاء بالرسول عليه الصلاة والسلام...

❖ الكاريكاتير الدنمركي نموذجا:

هذا الأسلوب الجديد – في التعبير عن العداء– من أساليب تمرير الصورة النمطية كنت قد قررت له تعليقا في الهامش لأسباب منهجية أولا، ولأننا كنا نعتقد أن أزمة الرسوم كانت مجرد قضية عابرة، لكن عادت أزمة الرسوم الكاريكاتورية إلى الظهور من جديد، وقامت سبعة عشر17 صحيفة دنمركية بنشر رسوم كاريكاتورية[2].... تضامنا مع ناشر الرسوم السابق "فستر كوت" بدعوى وجود من

---

[1] – من يجرؤ على الكلام، بول فندلي، ط 7/ 2004م، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر،ص: 511

[2] – بتاريخ: الأربعاء 05 صفر الخير 1429 هـ / 13 فبراير 2008 م. منها: صحيفة BT:EKSTRA BLADET، وهي من الصحف اليومية، (يومية – فضائح).

يفكر في قتله...فكان لابد من إدراج الموضوع ضمن المحاور الرئيسية نصرة للنبي ﷺ، والتنبيه إلى أن الكاريكاتير أصبح معدودا من أخطر وسائل تمرير الصور النمطية.

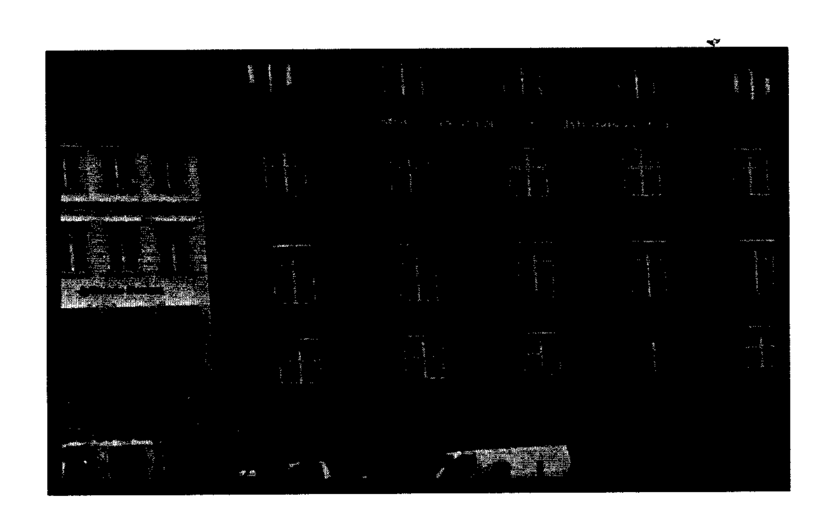
لكن هل فعلا أعيد نشر الرسوم الكاريكاتورية بهدف التضامن، أم أن الأمر يتعلق بطريقة احتفالية خاصة على الطريقة الدنمركية استعدادا للمولد النبوي الشريف، وإشغال الأمة الإسلامية بأمر الرسوم للانصراف عن الاحتفال بمن بعث الله رحمة للعالمين...ولتتواصل اللعبة بقوانينها المبهمة.

وبصدد الحديث عن الرسوم الكاريكاتورية لا يفوتني أن أصحح فكرة كانت متداولة وأدرج رأيا:

أولا:أما تصحيح الفكرة التي كانت سائدة فهي بشأن الصحيفة الدنمركية التي نشرت الرسوم الكاريكاتورية "يولاند بوسطن"، حيث كثيرا ما كان يروج الكلام لدى المسلمين في البلاد الإسلامية أنها مجرد صحيفة مغمورة لم يكتب لها الظهور إلا بعد نشر الصور، وهذا خطأ وقعت فيه شخصيا في مقام وفي مقال سابق[1]، لكن في حقيقة الأمر هي صحيفة متداولة ومعروفة حتى في أوساط الجالية المسلمة هناك، وقد كانت صحيفة أسبوعية في بداية أمرها لكنها أصبحت فيما بعد صحيفة يومية، ولها مقر واسع وأظهر من أن يغمر في أكبر ساحات العاصمة كوبنهاكن، ويتوسط اسمها نجمة سداسية الذي يكشف عن جذور الصحيفة ومموليها والمروجين لأفكارها...

---

[1] - العدد الثالث من سلسلة تصحيح صورة الإسلام: تصحيح صورة الإسلام في الغرب بين حملات التشويه وواجب التصحيح / تصحيح صورة الإسلام في الغرب واجب العلماء ومسؤولية الإعلام، ص:49.



وهذا دليل آخر على أن الهجوم على الإسلام وعلى النبي ﷺ ليس نتاج تصرفات فردية أو حالات قائمة بذاتها، بل غالبا ما يأتي نتيجة خطة تحالف متكاملة، ووفق استراتيجية متناسقة يدعمها كبار الساسة والقيادات الدينية والمؤسسات العسكرية، وتحركها الآلة الإعلامية الهائلة؛ ﴿وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين﴾ [1].

وللإشارة فإن هذه الجريدة تعد من بين التسع صحف التي توزع على المستوى القومي بما يقارب 478000 نسخة، نصيب صحيفة اليولاند بوسطن منها 175000نسخة.

[1] – سورة التوبة، جزء من آية 36.

ثانيا: أما الرأي فهو لـ "أولافر راغنار غرينسون" رئيس جمهورية إيسلاندا وهو رجل له اهتمام خاص بما يسمى بحوار الحضارات والثقافات؛ حيث إن هذا الرجل يريد أن يهون من هول الأزمة، أو يحط من شأن الرسالة والنبوة، فيقارن نفسه بشخص الرسول عليه الصلاة والسلام ويقول إنه بدوره يطلع على صفحات الجرائد على في صورة رسوم كاريكاتورية قائلا: "لو رأيتم الصور التي تعرض عني"، ثم يضيف-وباستهزاء واستخفاف- إن هناك ساسة وقادة يشعرون بالاستياء لأنهم لا يتعرضون للتصوير...."[1].

وإن كان هذا الرجل قد نطق بمثل هذا الكلام وهو في ضيافة قناة عربية إسلامية – معجب بها ومتابع لها – فلا شك أنه لا يريد إثارة حفيظة المسلمين وخلق أزمة جديدة تحسب عليه، ولا شك أنه سيكون له رأي مخالف وربما أسوأ إذا حل بجمهوريته – بلد مؤسس لحلف الليطو، وحلف الشمال الأطلسي، و بلد له علاقات مهمة مع الولايات المتحدة الأمريكية، أو إن كان في استضافة قناة إيسلندية أو أي قناة غربية أخرى...

[1] – الكلام مقتطف من حوار له مع قناة الجزيرة بمناسبة زيارة قام بها لدولة قطر، في برنامج " لقاء خاص " بتاريخ 2008-02-03 الساعة 05:30 مساء.أجرى الحوار: علي الظفيري.

المحور الخامس : التصرفات الخاطئة.

﴿. .قل هو من عند أنفسكم. . ﴾
آل عمران/165.

إن أسباب تمرير الصورة النمطية عن الإسلام، وإن اختلفت بين التاريخي والديني والفكري والإعلامي والفني؛ فإن ثمة أسباب أخرى تتعلق بالمسلمين أنفسهم: ﴿قل هو من عند أنفسكم﴾[1]؛ فالتربية الخاطئة للغرب وما نتج عنها من تشويه وتحريف، وإصرار الغرب على التدخل في شؤون الشرق غالبا ما تنتج عنه ردود فعل غير مسؤولة وتصرفات خاطئة من قبل بعض المسلمين، وهذه التصرفات وإن كانت في غالبها اندفاعات عاطفية وجدانية إلا أنها تعكس للأسف صورة سلبية عن الإسلام في عيون الغرب؛ حيث إن هذا الأخير لا يتوانى في الربط – عن جهل طبعا– بين ما يمارس من أخطاء من قبل مسلمين أو أشخاص يحسبون على الإسلام وبين تعاليم هذا الدين العظيم التي لا تعكسها قطعا هذه التصرفات والممارسات، وهذا سواء تعلق الأمر بتصرفات المسلمين في البلاد الإسلامية، أو بالنسبة للتواجد الإسلامي في الغرب.

أ – في الدول الإسلامية، كما هو الشأن بالنسبة للصراعات بين الطوائف الإسلامية والاقتتال بين المسلمين، هذه الظاهرة الغريبة التي نتجت في حد ذاتها عن تدخل الغرب في جغرافية الشرق تحت شعارات حقوقية واهية لا أساس لها من المصداقية سوى إثارة البلبلة وزعزعة النظام الإسلامي من الداخل، وخلق الحرب من أجل تمرير فكرة شرق أوسط جديد واستغلاله أنموذجا غربيا، وليظل هذا الشرق العظيم بحضارته تابعا دائما، ومتخلفا دوما، ومشتتا على الدوام، ويظل "العدو البديل" القوي ضعيفا للحفاظ على السيادة والريادة وعلى المصالح الخاصة.

---

[1] – آل عمران / جزء من 165.

ب - في الغرب: إن الكثير من التصرفات غير المسؤولة هي لبعض العناصر المحسوبة عرقيا وتاريخيا ومذهبيا على الإسلام مع أنهم طوائف مختلفة؛ منهم من لا يفقه حقيقة الإسلام، أو من علمه قليل وتجربته أقل وعاطفته أقوى، أو أقلية حملت الإسلام وراثة فليس لها من الأمر سوى الاسم، وهؤلاء خير ما يصدق عليهم قول الرسول ﷺ: «إن شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة عبد أذهب آخرته بدنيا غيره»[1]، وينطبق عليهم كغيرهم وصف سوء الفهم ونعت مركب الجهل. ومنهم صنف آخر تربى في ظل ثقافات متعددة، أو في ظل زواج مختلط؛ فاختلطت لديه الأفهام وتشكلت في ذهنه صور مختلفة من الأباطيل والأوهام؛ فذابت المفاهيم الصحيحة للقيم الإسلامية في ظلمات المفاهيم الغربية والغريبة الناتجة عن تربية خاطئة وترجمات مضللة. ومنهم صنف ثالث – وهم ثلة من الإمعة – انتقاهم الغرب من بين نكرات وأعدهم بعناية وإحكام، ونسبهم للإسلام عنوة مستغلا أوضاعا معينة من ضمنها شيوع الجهل بالإسلام، فسخرهم ويسخرهم من حين لآخر لخدمة مصالحه كلما دقت ساعة جعل "العدو البديل" في الواجهة، وكلما حانت لحظة تشويه صورة الإسلام؛ وهؤلاء في الحقيقة يشكلون أكبر الخطر خصوصا وأنهم سفراء ومراسلو الغرب عبر كل الدول العربية والإسلامية يقومون باستقصاء الأخبار ومتابعة المستجدات على جميع الأصعدة، وخصوصا ما يتعلق منها بالملفات ذات الأولوية في سياسة الغرب لتدمير الشرق أخلاقيا واقتصاديا.

ومن جهة أخرى فإن بعض المنتسبين إلى الإسلام قد يكون همهم هو إرضاء الغرب وإن كان ذلك على حساب تشويه صورة الدين والتنكر للهوية، وذلك عن طريق نشر أفكار مسمومة؛ كما هو الشأن بالنسبة لسلمان رشدي في "آيات شيطانية"، ونصر حامد أبو زيد في "وليمة أعشاب البحر"...ونحسب أن أمثال هؤلاء كثر... وكما هو الشأن مثلا بالنسبة لـ " آيان حرزي علي " المسلمة المرتدة عقب أحداث 11 سبتمبر، والتي تنكرت لكل ما هو إسلامي، وباتت تشوه صورة الإسلام

---

[1] – أخرجه ابن ماجه، كتاب الفتن، باب إذا التقى المسلمان بسيفيهما.

عبر القنوات الفضائية الغربية، بل إنها أصبحت نجمة الإعلام الغربي وضيفة كل البرامج المتعلقة بالإسلام والمسلمين المهاجرين على وجه الخصوص...وللتذكير فإن "أيان حرزي" هي كاتبة سيناريو فيلم "الخضوع" السابق الذكر الذي اغتيل بسببه مخرجه " ثيو فان خوخ"، وهي القضية التي كان فيها " محمد نويري" – ذو الجنسية الهولندية المغربية – أول من يدان بموجب قانون مكافحة الإرهاب الذي صدر في غشت 2004م؛ حيث حكم عليه بالسجن مدى الحياة، وهذا التصرف نفسه بات محسوبا على الإسلام، بل يرى العديد من المراقبين أن هذا الحادث هو الذي أفرز أزمة الرسوم الكاريكاتورية.

تتميم:

إن دوافع وأسباب سوء الفهم أو الجهل هي أسباب العداء عموما – وربما هناك دوافع لا يعلمها إلا الغرب–، وهي أسباب معقدة ومتعددة في مجملها؛ فقد تكون دينية أو تاريخية أو ثقافية أو تربوية، بل وتمتد لتتخذ بعدا سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وهو ما عليه الحال اليوم. ومهما تعددت الاعتبارات وتنوعت المقاربات فإن جذور الصراع بين الشرق والغرب تمتد يوما بعد يوم لتشمل كل ما من شأنه أن يشكل مادة لإثارة الخلاف وسببا لتكريس العداء، ووسيلة لإلصاق تهمة الإرهاب بالإسلام، وبات كل تصرف للمسلم في غير بلده الإسلامي لصيقا بالإسلام، وأصبح مفهوم الجهاد يصور على أنه الحرب المقدسة عند المسلمين للدفاع عن الإسلام أو نشره وهو تصوير ناتج عن أحد أمرين؛ إما عن سوء فهم نتج في الغالب عن الإعراض عن المعرفة، أو مركب جهل ناتج عن قراءة مغلوطة للعديد من الحقائق وخلط بين المفاهيم...

وأما الأحداث التي توالت على العالم خصوصا بعد 11 سبتمبر 2001 ما هي إلا تصرفات لا تخرج كثيرا عن مسألة سوء الفهم أو مركب الجهل....

وعموما يمكن إجمال هذه الدوافع مبدئيا في الآتي:

- ✓ الأحقاد والافتراءات التاريخية المتجذرة،
- ✓ تصدر الإسلام منصة "العدو البديل" مكره لا بطل،

✓ الإسلام السياسي، الذي نتج عن مصطلح الإسلام الأصولي Islamic fundamentalism.

✓ التطورات الدولية والأحداث المختلفة التي عرفتها الساحة الدولية؛ وعلى سبيل المثال الثورة الإيرانية،وحرب الخليج، والثورة في أفغانستان، والأحداث في باكستان، و الصراع الطائفي بين السنة والشيعة...

✓ ظاهرة تزايد نسبة المسلمين المهاجرين إلى الغرب التي ولدت أولا ظاهرة الخوف من الغرباء أو ما يسمى "الزينوفوبيا" xénophobie، والتي تنامت وتطورت إلى ما أصبح يعرف بـــ "الإسلاموفوبيا"، مع تفاقم ظاهرة إلصاق العنف والإرهاب بالإسلام والمسلمين، مما جعل الغرب في وضع الخائف من التزايد المتنامي والتمدد السكاني للمسلمين، وهذا ما أفرز في الحقيقة هذه الصورة عن الإسلام، وكما يقول د: بسام خفاجي: "إن الصورة المشوهة عن الإسلام في الغرب لم تكن بسبب جهل أوربا به، ولكنها في الواقع نتيجة معرفة حقيقية بالإسلام غلفت بالحقد والخوف مع تنامي هذا الدين على أوربا نفسها وعلى العالم أجمع"[1].

وهذا التزايد قد لا يشكل للغرب تهديدا في مجال فكري أو سياسي أو اقتصادي بقدر ما هو خوف من انتشار الإسلام كون لديهم عقدة نفسية ليس إلا، إلى حد وصف الهجرة الإسلامية بموجات تسونامي تهدد بابتلاع مدن الغرب المسيحي، حسب تعبير "سوزان فيتر" مرشحة حزب الحرية النمساوي.

✓ ما يتوصل إليه المنظرون من نظريات تسيء للإسلام بطريقة أو بأخرى وتسعى إلى توسيع الهوة بين العالم الغربي والعالم الإسلامي انطلاقا من نشر أفكار ونظريات من قبيل؛ "صراع الحضارات "لصمويل هنتنجتون"، و"نهاية التاريخ" لفوكوياما، و"حتمية الصراع بين الإسلام والغرب" لبرنارد لويس...[2].

---

[1] -بسام خفاجي، لماذا يكرهونه / الأصول الفكرية لعلاقة الغرب بنبي الإسلام، ط:2006، ص: 74

[2] - في حديث له منشور بمجلة THE ATLANTIC MONTHLY عدد شتنبر 1990م.

وكل هذا العداء والافتراء الناتج عن الأمراض السابقة يشتمل على عناصر تعد من أخطر النتائج التي أسفرت عنها الصورة النمطية التي فرضتها الرؤى السياسية والاستراتيجية والإعلامية والإيديولوجية المعادية للإسلام ومنها:

- ✓ تشويه صورة الإسلام،
- ✓ ضرب المقدسات ورفض الرموز الدينية،
- ✓ رفض إقامة المساجد المدارس الإسلامية في الغرب،
- ✓ العنصرية والكراهية،
- ✓ اعتبار المسلم المقيم في الغرب عدوا مندمجا،
- ✓ -الاختلاف وتجميد الحوار،
- ✓ -الإسلاموفوبيا...

القسم الثاني:

مفاهيم نمطية و قذائف حق.

- ✓ المحور الأول: في مجال العلاقات الدولية.
- ✓ المحور الثاني: في المجال الاقتصادي.
- ✓ المحور الثالث: في المجال الأسري و الحقوقي
- ✓ المحور الرابع: في المجال الثقافي والتربوي.

القسم الثاني: مفاهيم نمطية وقذائف حق.

﴿ بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون ﴾ الأنبياء / 18.

الفرش:

لقد بات الغرب اليوم يبحث عن أي شيء لإثارة الخلاف ولوضع الإسلام في مستوى العدو البديل في نظره، ونحن إذ نعرض مفاهيم نمطية معينة فليس على سبيل الحصر، بل التمثيل والتنبيه إلى أن الغرب لم يعد يقتصر في تشويه صورة الإسلام على الجوانب الدينية والأخلاقية والاجتماعية والسياسية، بل كذلك الاقتصادية والفكرية والثقافية... ولأن الغرب اختزل الإسلام في منظومة فكرية ثلاثية الأركان: "تخلف" و"إرهاب" و"شبق"؛ فهو يركز مخططاته – سواء تعلق الأمر بالتنصير أو التشويه– على القضايا الأساسية والركائز الكبرى للأمة الإسلامية وهي التعليم والمرأة والاقتصاد....ومن هذا المنطلق وددنا رصد بعضا من هذه الصور والشبهات، وعرضها ليس لغرض تصحيحها من منطلق الأدلة النقلية والحجج الشرعية الدامغة فقط، بل دحضها وتبديدها انطلاقا من شواهد أهلهم، ودراسة أحوالهم، وقراءة في قوانينهم وإعلاناتهم ومواثيقهم، فندعو الآخر إلى هذه الوقفة المهمة، قبل أن نمده بقذائف الحق؛ وهو منهج حري بأن يكشف مبلغ سوء الفهم ومركب الجهل، وأن يحقق البعد البنائي الهادف والمرجو.

المحور الأول: في مجال العلاقات الدولية.

- ✓ النقطة الأولى: الإرهاب "الإسلامي":
  خلل في الإسناد وسوء في الأفهام.
- ✓ النقطة الثانية: المسلم عدو من ليس على دينه:
  مقولة مردودة وافتراء لا أساس له.

المحور الأول: في مجال العلاقات الدولية.

النقطة الأولى:

الإرهاب "الإسلامي":

خلل في الإسناد وسوء في الأفهام.

أ- تقديم:

ألصقت تهمة الإرهاب بالإسلام عنوة، وأصبح الإسلام دين إرهاب دون سابق إنذار، وبدون منازع في رأي الغرب، وبات المسلمون إرهابيين من الدرجة الأولى في المنظور الغربي، لسبب واحد؛ وهو أنهم يحملون لواء دين اختاره الله تعالى ليكون الدين عند الله وخاتم الأديان والرسالات، لكن الغرب رشحه على النقيض من ذلك ليكون "العدو البديل".

إن الغرب ومنذ ذلك الحين -أي منذ أن أعلن الإسلام عدوا- اختلطت لديه المفاهيم وسيطر عليه مرض حب الذات والنسيان؛ فلو توقف لهنيهة وقفة المفكر العادل،وتساءل ما هو الإرهاب؟ ومن هو الإرهابي؟ ولو استطاع أن يجيب عن السؤال بالعقل قبل النقل، ويأتي بالحجج من التاريخ قبل العقل لغير تفكيره وسحب فهمه الخاطئ، ولحذف شعاراته وتنازل عن اتهاماته،لكن هذا هو حال الجاهل جهلا مركبا، والخائف خوفا لا مبررا، والمتجاهل الذي يريد تصدر الركب دوما ولا مباليا...

فالغرب إن استطاع أن يجيب عن هذا السؤال، وغيرها من الأسئلة بالعقل،أو انطلاقا من الأحداث والوقائع التاريخية فسيجد نفسه أمام ظاهرة إرهابية غربية لا مثيل لها، وأنه منتج الإرهاب بلا منازع، وإن كان لا يعلم أو لا يريد أن يعلم؛ فالتاريخ سجل ويسجل ذلك -رغما عن أنفه وعن الجميع - سواء تعلق الأمر بحروب مدمرة وهجمات مروعة أو أحداث إرهابية حديثة...، وإذا نحن تجاوزنا

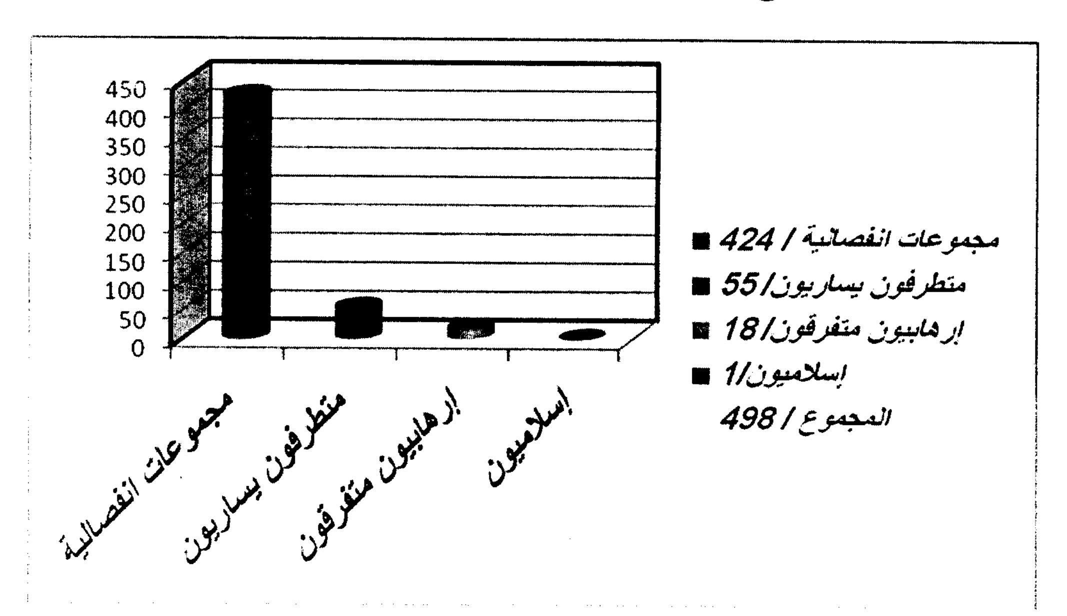
الحربين العالميتين المدَمِّرَتين، والتي سُجِّلت في تاريخهم ولم تسجل في التاريخ الإسلامي. وإن صرفنا النظر عن الأنظمة العلمانية التي قادها رجالاتهم أمثال: هتلر ولينين وستالين وموسوليني....فلا يمكن أن نغفل أنه إلى جانب محاكم التفتيش التي سجلت في تاريخ الإسبان، والتي كانت تطارد المسلمين وتفتك بهم، كان رجال التبشير يطاردون الهنود ويفتكون بهم، وهذا حسب ما كشفت عنه رسالة الحقيقة التي قدمها "المطران برتولومي" إلى أمير بلاد إسبانيا "دون فيليب" والتي ضَمَّنَها رواياته –كشاهد عيان– عن أساليب التعذيب والقتل التي مارسها المسيحيون الإسبان على الهنود الحمر؛ أقتبس منها ما يلي: "قتل المسيحيون كل هذه الأنفس البهية وفتكوا كل ذلك الفتك باسم الدين ليحصلوا على الذهب ويكنزوا الثروات ويصلوا إلى مراكز أكبر من أشخاصهم.إن جشعهم وتطاول شهواتهم الجامحة أودى بهم إلى احتقار هذه الشعوب المتواضعة الحالمة الودودة، ونهب ثروات هذه الأراضي الخصبة البهيجة، (إنني أقول الحقيقة لأنني شاهدتها بأم عيني) كان المسيحيون ينظرون إلى الهنود الحمر لا كما ينظرون إلى الحيوانات، ويا ليتهم اعتبروهم حيوانات، بل أقل قدرا من الدواب وأحط شأنا من الزبل.....أما المسيحيون فعاقبوهم بمذابح لم تعرف في تاريخ الشعوب كانوا يدخلون على القرى فلا يتركون طفلا أو حاملا أو امرأة تلد إلا ويبقرون بطونهم ويقطعون أوصالهم كما يقطعون الخراف في الحظيرة...كانوا يسفدون الطفل وأمه بالسيف كما تسفد قطع اللحم بالسفود..."[1]، وأما المجازر فهي إحدى محطات الإرهاب الأساسية في تاريخ الثقافة الغربية؛ مثل مجازر أوكلاهوما...

وأضف إلى كل هذا الإرهاب المعنوي المتمثل في السياسة الإرهابية الحضارية التي يتبناه الغرب، ويحاول من خلالها فرض أنموذجه على الشعوب متجاوزا ومتجاهلا الخصائص الثقافية والحضارية والعرقية للشعوب المسلمة.

[1] – المسيحية والسيف، وثائق إبادة هنود القارة الأمريكية على أيدي المسيحيين الإسبان، رواية شاهد عيان، تأليف المطران برتولومي دي لاس كازاس، ترجمة: سميرة عزمي الزين، سلسلة من أجل الحقيقة 2، منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية.

وإن هم قالوا إن هذا بات من الماضي فإن مكتب الشرطة الأوربي (يوروبول) يزودهم بأحدث الإحصائيات؛ حيث يكشف تقرير المكتب أن نشاطا واحدا فقط من بين 498 هجوما ونشاطا إرهابيا في الاتحاد الأوربي خلال عام 2006م شنه إسلاميون، في حين أن 424 هجوما ارتكبته مجموعات انفصالية، و55 هجوما كان من قبل متطرفين يساريين و18 هجوما ارتكبه إرهابيون متفرقون آخرون.

ب- توضيح وبيان:



ت- تعليق وتحقيق:

إن الاحصائيات قد لا تحتاج إلى تعليق، لكن لا بد من الإشارة إلى التعليق الذي أورده "غراهام أي فوللر" نفسه قبل إيراد هذه الإحصائيات بقوله:"..فالإرهاب لا يتطلب مسلمين لارتكابه"[1]، ثم يضيف في مقام آخر من نفس المقال: "تذكروا

[1] – عن مجلة FP: Foreign Policy /، العدد164 ، يناير 2008م، ص: 28

أيضا أن معظم الفظائع الكبرى في القرن العشرين أتت بشكل حصري من أنظمة علمانية بالكامل: ليوبولد الثاني البلجيكي في الكونغو، وهتلر، وموسوليني، ولينين وستالين وماو وبول وبوت.الأوروبيون هم الذين فرضوا على بقية العالم حربين عالميتين، وهما نزاعان عالميان مدمران لا مثيل لهما في التاريخ الإسلامي "[1].

فكيف بعد كل هذا يلصقون تهمة الإرهاب بالإسلام وهم أحق بها منه ومنا؟!، إنه خلل في الإسناد ليس إلا !.

ج–شهد شاهد منهم:

تقول سيغريد هونكه– المستشرقة الألمانية – عن الفهم الغربي الخاطئ للجهاد الإسلامي: " إن الجهاد الإسلامي ليس هو ما نطلق عليه ببساطة:مصطلح الحرب المقدسة....واليوم وبعد انصرام ألف ومائتي عام، لا يزال الغرب النصراني متمسكا بالحكايات المختلقة الخرافية التي كانت الجدات يروينها؛ حيث زعم مختلقوها أن الجيوش العربية بعد موت محمد نشرت الإسلام بالنار وبحد السيف البتار، من الهند

---

[1] – عن مجلة FP: Foreign Policy /، العدد164، يناير 2008م، ص: 29.

وللإشارة فإن " غراهام فوللر " عنون مقاله هذا بـ:" العالم من دون الإسلام " حيث طرح كل التصورات والافتراضات الممكنة بدون الإسلام، وهل سيكون العالم على خلاف ما هو عليه اليوم ؛ فطرح تساؤلا: " لو لم يكن الإسلام موجودا، فهل كان العالم سيكون أوفر سلما ؟ في وجه التوترات القائمة بين الشرق والغرب، يضيف الإسلام بلا شك عاملا انفعاليا آخر، ومزيدا من التعقيدات في وجه الحلول. الإسلام ليس سبب هذه المشاكل، قد يبدو أن البحث عن آيات من القرآن تفسر سبب كرههم للناس أمر ينم عن حنكة، لكن ذلك يغفل طبيعة هذه الظاهرة، من المريح اعتبار الإسلام مصدر المشكلة ؛ هذا أسهل بكثير من التعمق في التأثيرات العالمية الكبيرة للقوة العظمى الوحيدة في العالم...في غياب الإسلام كان العالم سيشهد معظم الخلافات الدامية التي لا تزال تطغى حروبها وصراعاتها على الساحة الجيوسياسية....في النهاية يبقى الصراع بين الشرق والغرب متعلقا بالمسائل التاريخية والجيوسياسية الأوسع في التاريخ البشري: وهي الإثنية والقومية والطموح والجشع والموارد والقادة المحليون والأرض والمكاسب المالية...بمواجهة مسائل كهذه كيف يمكن ألا يتم اللجوء إلى الدين....قد يتمنى البعض اليوم أن يكون " العالم من دون إسلام "، حيث من المفترض ألا توجد هذه المشاكل، لكن في الحقيقة فإن النزاعات والخصومات والأزمات في عالم كهذا لن تكون مختلفة جدا عن تلك التي نعانيها اليوم."

إلى المحيط الأطلنطي. ويلح الغرب على ذلك بكافة السبل: بالكلمة المنطوقة أو المكتوبة وفي الجرائد والمجلات والمنشورات، وفي الرأي العام، بل في أحداث حملات الدعاية ضد الإسلام...".[1]

د- تنبيه هام:

إنه إذن سوء فهم آخر لمعنى فريضة الجهاد في الإسلام، وجهل بأهم ضوابطه وأنبل أهدافه، بل وجهل بوجوبه دفاعا عن الإسلام في حالة الظلم، ووجوب قتال عموم الكفار في حالة التآمر على الإسلام والمسلمين: ﴿وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلوكم كافة..﴾[2]، وأن إرهاب العدو الوارد في الآية الكريمة: ﴿ترهبون به عدو الله وعدوكم...﴾[3] هو جزء من الجهاد المشروع، بل من مستلزمات هذا الأخير إرهاب وتخويف العدو بشتى الوسائل المشروعة: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾ [4] فجاءت الآية من جهة على الإطلاق في الإعداد والاستطاعة بحسب تعدد الأحوال والأهوال، وبحسب الأزمان والأوطان...، ونصت من جهة أخرى على مبدإ التعددية في الوسيلة التي دل عليها لفظ "قوة" الوارد بصيغة النكرة؛ فدخلت كل وسيلة مشروعة ومناسبة من رباط خيل وقرطاس وقلم...كما دخل الكشف عن خططهم الدنيئة والجرأة في ردها ودحضها...

وإن أشكل الأمر على الغرب في فهم ما يحدث اليوم من سلوكيات في مناطق مختلفة من العالم وإدراجها ضمن خانة إرهاب – بالمفهوم الغربي –، وإلصاقها بالإسلام والمسلمين فلأن خللا مفاهيميا حادثا للناعت والمنعوت معا؛ حيث إن الأول يمارس ما يستوجب الدفاع بالشكل الذي حث عليه القرآن الكريم، والمنعوت يمارس الحق

---

[1] – الله ليس كذلك، ترجمة غريب محمد غريب، القاهرة 1995 م، ص: 40-41.

[2] – التوبة، جزء من آية 36

[3] – الأنفال، جزء من آية 60.

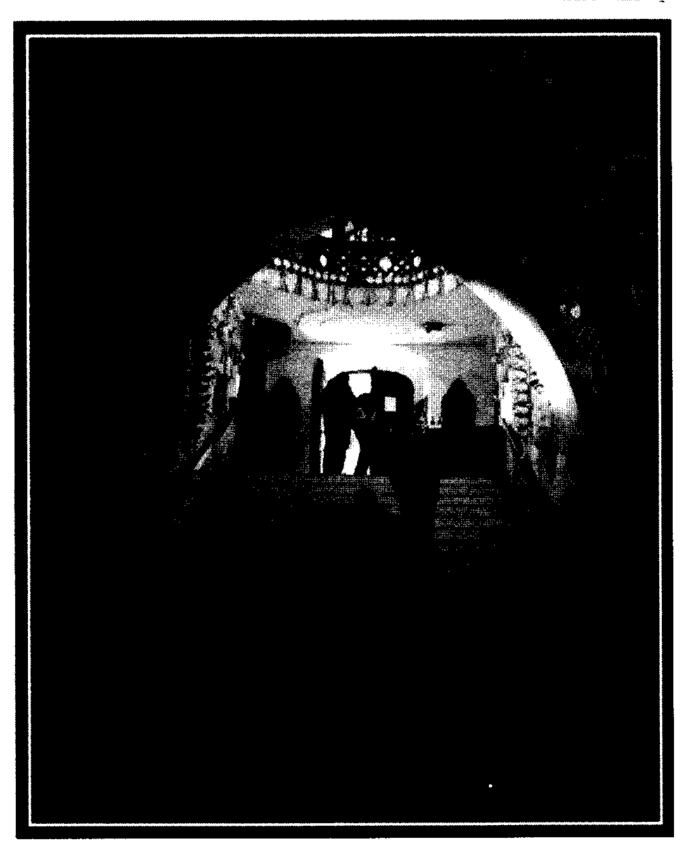
[4] – الأنفال، جزء من آية 60.

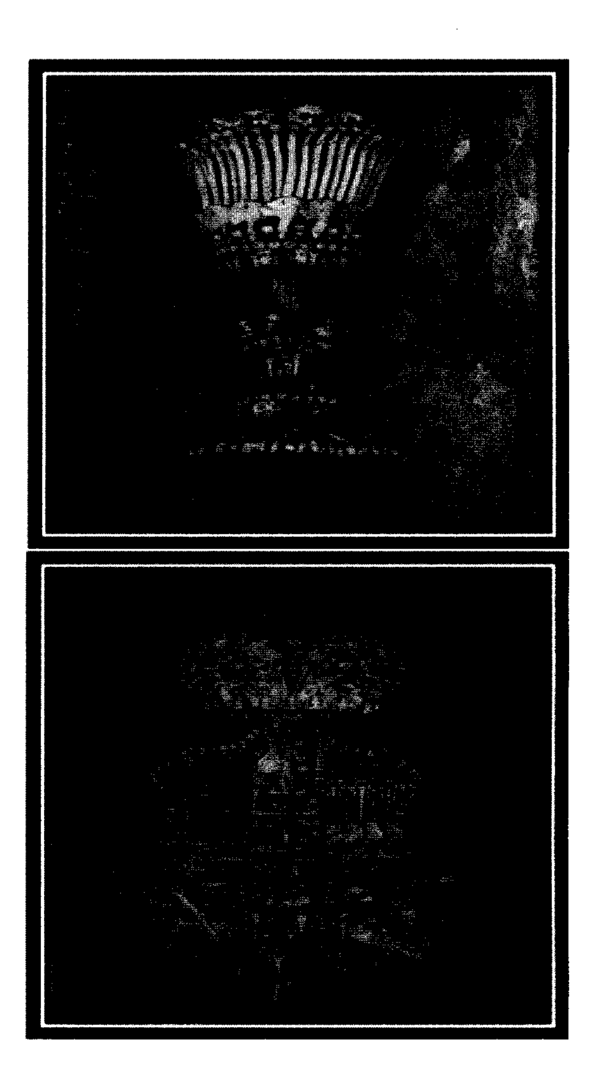
بعيدا عن تعاليم الشريعة الإسلامية وعن الضوابط الشرعية؛ فحصل سوء فهم للتصرفات وجهل بالأحكام والواجبات...

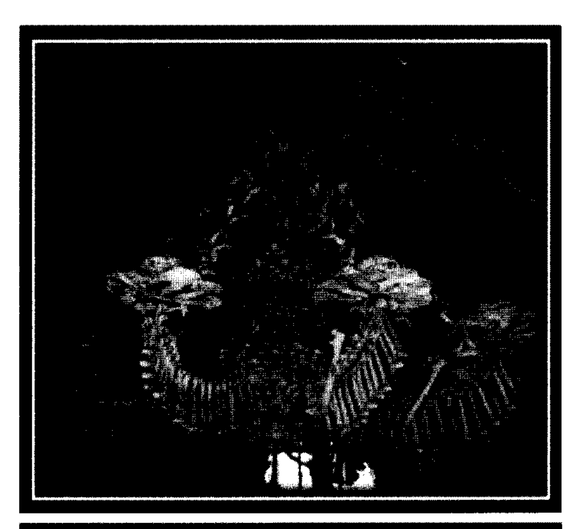
هـ - ملحق مهم:

يتضمن الملحق صورا معبرة جدا، وهي صور لكنيسة في تشيكوسلوفاكيا، والمهم في هذه الصور هو أنها توضح جانبا آخر من جوانب الإرهاب الغربي؛ فالكنيسة قد زينت وزخرفت بعظام ضحايا محاكم التفتيش، ويبلغ عددهم بالتقريب حوالي 40.000 شخص.

والصور غنية عن أي تعليق:









النقطة الثانية:

المسلم عدو من ليس على دينه:

مقولة مردودة وافتراء لا أساس له.

إن اعتبار المسلم عدوا لكل من ليس على دين الإسلام، وأن الإسلام دين يتصادم ولا يتعايش، أمر لا أساس له، ومقولة مردودة من وجوه عدة أهمها:

أولا: إن الإسلام وضع في المبدأ قاعدة عالمية إنسانية جامعة أساسها أن الله تعالى هو رب العالمين؛ ﴿الحمد لله رب العالمين﴾، وكرس مبادئ التكريم لمطلق الإنسانية دون تمييز بين شعب وآخر، أو بين أتباع رسالة من الرسالات السماوية؛ ﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾[1]، وأوجب العدالة الشاملة حتى مع المنكرين: ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعلمون﴾[2]، وإن الرسول عليه الصلاة والسلام حكم بمقتضى هذه العدالة التي جعلها الله تعالى حقا لكل الناس؛ مسلما ونصرانيا ويهوديا ومشركا؛ ﴿وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾[3]، وبمقتضاها حكم الصحابة والتابعون؛ فنجد مثلا شريحا القاضي يحكم لنصراني على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ كما جاء في قصة الدرع المسروق [4].

---

[1] – سورة الإسراء / آية 70.

[2] –سورة المائدة / آية 8.

[3] –سورة النساء / آية 58 .

[4] – والقصة بتمامها: أخرج الدراج في جزئه المشهور بسند مجهول عن ميسرة عن شريح القاضي قال: لما توجه علي إلى صفين افتقد درعاً له فلما انقضت الحرب ورجع إلى الكوفة أصاب الدرع في يد يهودي فقال لليهودي الدرع درعي لم أبع ولم أهب فقال اليهودي: درعي وفي يدي فقال نصير إلى القاضي←

ثانيا: إن الله تعالى بعث هذا النبي بالحنيفية السمحة، وأرسله رحمة للعالمين وللناس كافة؛ قال الله تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾[1]، وقال تبارك وتعالى: ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا﴾[2]، حيث ورد الخطاب بلفظ العموم وشمول واستغراق كل الأفراد والبشر؛ مسلما كان أو غير مسلم، ذكرا أو أنثى، وغنيا أو فقيرا...، وقال الله عز وجل: ﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين﴾[3]؛ لأن هذا الدين هو دين للناس كافة، والدعوة الإسلامية دعوة عالمية، ولأن محمدا عليه الصلاة والسلام رسول الله إلى العالمين؛ وكلمة "العالمين" تفيد أن رسالة الإسلام صالحة لمختلف العصور والبيئات لشمولها البعدين الزماني والمكاني، وخاصية الشمول فيها تتجلى في استيعاب الدين الإسلامي لكل شؤون الحياة، كما أن مبدأ "العالمية" هو جسر التواصل والأساس في العلاقات الدولية سواء بين المسلمين، أو بين المسلمين وغيرهم من أصحاب الرسالات والثقافات الأخرى...

ثالثا: إن الرسول ﷺ وهو الرحمة المهداة والنعمة مسداة جاء مطبقا للقانون الرباني المتمثل في قاعدة عالمية الرسالة الإسلامية التي أقرها بأفعاله وأقواله وتقريراته،

← فتقدم علي فجلس إلى جنب شريح، وقال: "لولا أن خصمي يهودي لاستويت معه في المجلس ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول " أصغروهم من حيث أصغرهم الله"، فقال شريح: "قل يا أمير المؤمنين، فقال: نعم هذه الدرع التي في يد هذا اليهودي درعي لم أبع ولم أهب فقال شريح: "أيش تقول يا يهودي، قال: "درعي وفي يدي"، فقال شريح: "ألك بينة يا أمير المؤمنين"، قال: "نعم قنبر والحسن يشهدان أن الدرع درعي"، فقال شريح: "شهادة الابن لا تجوز للأب" فقال علي رجل من أهل الجنة لا تجوز شهادته سمعت رسول الله ﷺ يقول: " الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة " فقال اليهودي أمير المؤمنين قدمني إلى قاضيه وقاضيه قضى عليه أشهد أن هذا هو الحق وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله وإن الدرع درعك. تاريخ الخلفاء، 1/ 184-185.

[1] –سورة الأنبياء / آية 107.

[2] – سورة الأعراف / آية 158.

[3] –سورة المائدة / آية 15.

والتي أكدها في افتتاح خطبته في حجة الوداع بقوله "أيها الناس" على غرار الآيات القرآنية.

وقد حدد عليه الصلاة والسلام هذه العلاقة في وثيقة وضحت أساس العدالة في معاملة الآخر، وأعطت لمواطني الدولة مفهوم الحرية الدينية مقابل نبذ التعصب والمعتقدات الضالة والمضللة، التي كانت سائدة في الجزيرة العربية قبل الإسلام، هذه الوثيقة التي كانت سياسة إسلامية منبثقة من شريعة ربانية، واعتبرت دستورا وسلطة قضائية عليا يرجع إليها المسلم واليهودي على حد سواء، أساسها المساواة بين جميع البشر،وشعارها:"لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي...إلا بالتقوى، وأصلها الثابت قول عز وجل: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾[1].

رابعا: إن الإسلام ساوى بين المسلم وغير المسلم في الحقوق العامة، وقرر أن الذمي له في بلد المسلمين ما للمسلم من حقوق، وعليه ما عليهم من الالتزامات، بدليل نصوص ووقائع كثيرة منها:أن النبي ﷺ قال: «ألا من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة»[2].

---

[1] –سورة الحجرات /آية 13 ؛ وهذه الآية تمثل فقه التعارف ؛ لأنها تكشف عن ثلاثة قواعد أساسية: أولها قاعدة الوحدة الإنسانية ﴿إنا خلقناكم من ذكر وأنثى﴾.، والقاعدة الثانية، هي قاعدة التنوع الإنساني ﴿وجعلناكم شعوبا وقبائل﴾.، أو ما يمكن أن نصطلح عليه بـ " ثقافة التعددية "، وهذه التعددية في إطار هذه الإنسانية الواحدة هي في الرؤية الإسلامية آية من آيات الله في خلقه، وإن شئنا قلنا إن الإنسانية جامع والاختلاف تنوع في إطار هذا الجامع، الأمر الذي لا يتاح إلا بالتكامل وذلك من أجل تحقيق الحكمة الإلاهية في هذا كله، وهي القاعدة الثالثة المستنبطة من الآية وبيت القصيد وهي قاعدة التعارف ﴿لتعارفوا﴾.

[2] – أخرجه أبو داود، كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب: في تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارات.

ومنها ما ثبت عن الرسول ﷺ أنه قام لجنازة يهودي مرت به حتى توارت، وقام الصحابة؛ فعن جابر بن عبد ﷺ عنهما قال مر بنا جنازة فقام لها النبي ﷺ وقمنا به، فقلنا: يا رسول الله إنها جنازة يهودي، قال: إذا رأيتم الجنازة فقوموا» [1].

ومنها أن الرسول ﷺ عفا عن امرأة يهودية وأعطاها حق الحياة؛ فعن أبي هريرة أن: «امرأة من اليهود أهدت إلى النبي ﷺ شاة مسمومة قال فما عرض لها النبي ﷺ» [2].

واعترف الفقهاء المسلمون لهم بتلك الحقوق؛ فنجد مثلا الإمام القرافي المالكي يقول:"إن عقد الذمة يوجب لهم حقوقاً علينا، لأنهم في جوارنا، وفي خفارتنا، وذمتنا وذمة الله تعالى وذمة رسول الله ﷺودين الإسلام، فمن اعتدى عليهم ولو بكلمة سوء أو غيبة أو نوع من أنواع الأذية أو أعان على ذلك فقد ضيَّع ذمة الله وذمة رسوله وذمة دين الإسلام" [3].

فالمسلم ليس عدوا لأحد، لكن اليهود لا يعرفون الوفاء بالعهود حقا: ﴿الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون﴾ [4].

---

1 – أخرجه البخاري،كتاب الجنائز، باب: من قام لجنازة يهودي .

2 – أخرجه أبو داود، كتاب الديات، باب: فيمن سقى رجلا سما أو أطعمه فمات أَيُقَاد منه.

3 – أنوار البروق 4 /398. الفرق بين أهل الذمة وبين قاعدة التودد لهم.

4 – سورة الأنفال / آية 56.

المحور الثاني: في المجال الاقتصادي.

- ✓ الاقتصاد الإسلامي اقتصاد ربوي: تصور خاطئ و افتراء
- ✓ هل الإسلام يوفر بيئة صالحة للأعمال؟ جواب إيجابي لسؤال سلبي.
- ✓ التخلف الاقتصادي نتاج إهمال الحث على الكسب: جهل أو وهم أو سوء فهم.

المحور الثاني: في المجال الاقتصادي.

توطئة:

إن الحملات الشرسة والهجمات الضالة للإسلام من قبل الغرب اتخذت أشكالا متعددة؛ وانطلاقا من الهجمة الثقافية لتشويه صورة الإسلام والسعي لإضعاف تأثيره في النفوس، وطمس أسسه الثقافية والمعرفية والتنظيمية للبناء المجتمعي الصحيح والصالح تفرعت ظاهرة إشاعة فكرة الموقف السلبي للإسلام من المال والمعاملات المالية، ونعت الاقتصاد الإسلامي بأنه اقتصاد ربوي، وأن الإسلام لا يوفر بيئة صالحة للأعمال، أو بالأحرى للقيام بالأعمال الاقتصادية، وتأسست النظرة على فكرة تخلف المسلمين وتراجع اقتصادهم، وتصنيف دولهم ضمن لائحة الدول المتخلفة أو السائرة في طريق النمو، ورامت الهجمة تقديم بديل أو أنموذج للمسلمين من أجل اللحاق بالركب الحضاري وتحقيق التقدم والتنمية المنشودة؛ وهو أنموذج هجرة الإسلام إلى الأخذ بالثقافة والنظام الغربي في إطار ما عرف بنظام "العولمة".

كما أن هذا الفهم الخاطئ عن المال والمعاملات المالية في الإسلام جاء عبارة عن سؤال من جامعة "كنساس" الأمريكية، ملخصه: "هل الإسلام يوفر بيئة صالحة للأعمال؟"[1].

وهو سؤال القصد منه الإساءة الضمنية والتشويه أولا، وثانيا المزيد من المعرفة؛ لأن هؤلاء وهم-غالبا- رجال أعمال لهم مصالح معينة في الدول الإسلامية، أو في نواياهم اقتحام هذه الدول بمشاريعهم، وإغراق أسواقها بمنتجاتهم وضمان توزيعها واستهلاكها بالشكل الذي يروقهم، وضمان بقاء الأسواق مفتوحة لاستنزاف المزيد من ثروات المسلمين؛ خاصة وأن هدف الغرب الوحيد وهمه الأوحد من هذه الدعاوي الإصلاحية -السياسية والاقتصادية والحقوقية- هو استمرار مصالحه الاقتصادية في الدول الإسلامية، لذلك من الضروري أن يعرف ويتعرف عن حقائق

---

1 – السؤال ورد من جامعة "كنساس" على مركز الاقتصاد الإسلامي بجامعة الأزهر عن مجلة الاقتصاد الإسلامي العدد 286 محرم 1426هـ/ فبراير – مارس 2005 م، ص:33.

الإسلام في مجال المال والأعمال والمعاملات المالية والاقتصاد؛ هذه الحقائق التي لا تعكسها في الحقيقة –وللأسف– تصرفات بعض المسلمين في مجال المعاملات المالية...

النقطة الأولى:
"الاقتصاد الإسلامي اقتصاد ربوي":
تصور خاطئ وافتراء.

أ- البيان الحقيقي:

إن الإسلام قد اهتم بالمعاملات المالية التي تعتبر بيت القصيد بالنسبة للاقتصاد الإسلامي، وتمثل لب العمل الاقتصادي،وجاءت أطول آية في القرآن الكريم وهي آية المداينة: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه. . . .﴾ [1] تخص مجال المعاملات والتوثيق والمداينات والبيوع.كما أن من أهم المقاصد الشرعية النبيلة في الهداية في القرآن الكريم الدعوة إلى الإصلاح على جميع المستويات؛انطلاقا من إصلاح العقيدة أولا بإرشاد الخلق إلى حقائق المبدأ والمعاد تحت شعار الإيمان الشامل والمتكامل، وثانيا إصلاح الأخلاق والسلوك بالإرشاد إلى الخطأ والصواب والتزام مبدأ الوسطية في الأمور كلها، وثالثا إصلاح السياسة والحكم الدولي عن تقرير العدل المطلق ومراعاة الفضائل في الأحكام والمعاملات من عدل وحق ووفاء بالعهود، واجتناب الرذائل من ظلم وغرر ونقض العهود وخيانة وغش وأكل أموال الناس بالباطل؛ من رشوة وربا وتجارة بدين...، ورابعا إصلاح المال عن طريق الدعوة إلى الاقتصاد وحماية المال من الضياع والتلف، ووجوب إنفاقه في وجوه البر وأداء الحقوق الخاصة والعامة، والسعي المشروع[2]، وهذه المقاصد الإصلاحية مجتمعة هي العناصر الكفيلة بتكوين الشخصية المتوازنة من جهة، وتكوين بيئة أعمال مميزة من جهة أخرى، وعلى هذا حال بيئة الأعمال التي يوفرها الإسلام.

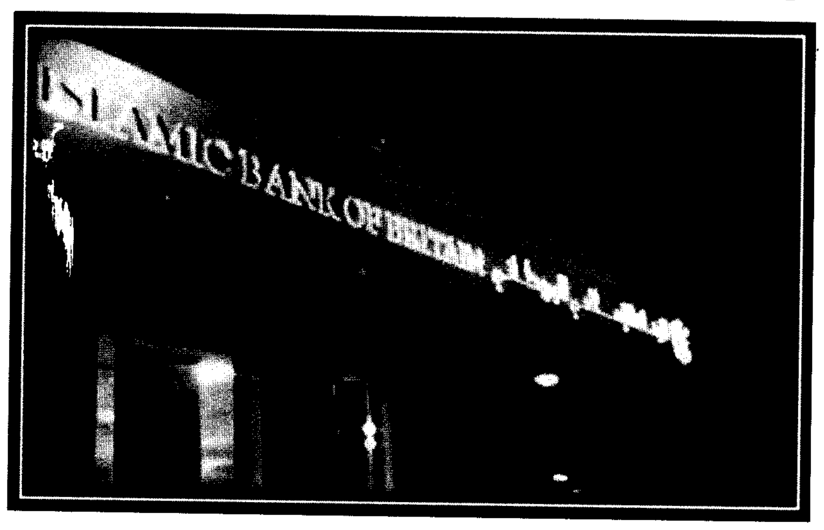
---

[1] – سورة البقرة، آية 282.

[2] – مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، تح: مكتب البحوث والدراسات، ط 1 / 1996م دار الفكر – بيروت، 2/ 254

وعلى هذا النهج القرآني في الهداية سار النبي عليه ﷺ في دعوته للخلق، ومن بعده عليه الصلاة والسلام واصل التابعون السير على النهج نفسه، وبلغوا الأمانة، التي حملها من بعدهم فقهاء الإسلام وأئمته المجتهدون؛ الذين أولوا عناية خاصة بالمال والمعاملات المالية فأفردوا لها أبوابا مستفيضة وأحكاما مستنيرة مستنبطة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ثم واصل الخلف حمل هذه المسؤولية وحافظ على هذه الأمانة عن طريق التعلم والتعليم وتلقين مبادئ الإسلام في مجال المال والأعمال والاقتصاد للأجيال المتلاحقة في الكليات الشرعية والاقتصاد. وأصبحت الأحكام الشرعية والقواعد الفقهية تعتمد في العديد من المعاملات المصرفية اليومية، إلى أن أصبح في الشرق نماذج من مصارف ناجحة– على الرغم من الشبهات الواردة عليها والانتقادات الموجهة إليها– مخالفة للبنوك التقليدية التي عرفها الغرب منذ مئات السنين، والتي رسخها الاستعمار الغربي في العديد من الدول الإسلامية –، بل إن الغرب يسعى اليوم للاستفادة من هذه التجربة الإسلامية الفريدة من نوعها في المجال المصرفي؛ حيث تحاول بعض الدول مثل "إنجلترا" أن تغير تشريعاتها في هذا المجال بما يتفق وتأسيس مصرف على غرار المصارف الإسلامية، ولجأت دول أخرى في بعض الحالات الخاصة وفي بعض الظروف الذي تعرض لها اقتصادها مثل اليابان إلى طرح "قروض صفرية الفائدة" لإخراج الاقتصاد من دائرة الأزمة، على شاكلة القرض الحسن؛ وهو من البدائل الشرعية المهمة للفوائد الربوية التي حث عليها القرآن الكريم، والتي تطبقها العديد من المصارف الإسلامية اليوم، أضف إلى هذا انتشار البنوك الإسلامية في العديد من الدول الغربية، ويكفي ذكرا أنه – وحسب بعض الإحصائيات– بلغت في أمريكا حوالي 36 بنكا على شاكلة مصرف إسلامي، وإن كانت هذه المسألة ينبغي التعامل مع تصديقها بحذر شديد؛ لأنها قد تكون عملة لوجهين؛ فإما قناعة واقتناع بالمنهج الإسلامي وهذا أمر مستبعد، أو استفادة من نجاحاتها وسيلة لجذب أموال المسلمين وهذا محتمل وشيء طبيعي في نفس الآن، بل هو الراجح في هذا الزمان.

هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن الاعتراف بكون تجربة البنوك الإسلامية قد نجحت في بلدان الغرب أمر مثير للاستغراب وممرر للتشويه؛ حيث إنه لا يعقل التسليم بمثل هذه المسألة في حالة كون المؤسسين لهذه البنوك أطراف غير مسلمين...وقد أسلفت في بداية الكلام عن المعاملات المالية وشروط قيام بيئة الأعمال توفر العقيدة والإيمان والتقوى والأخلاق فهل هذا حقا متوفر في مؤسس هذه المصارف في الغرب،وهل هذا يدفعنا أن نشجع الجاليات المسلمة في بلاد المهجر على التعامل مع هذه المصارف العاملة تحت ستار "الإسلامية"؛ مثل: "البنك الإسلامي البريطاني "



فهل نقتنع بأن هذا البنك يعمل وفق مبادئ الشريعة الإسلامية خدمة للجالية المسلمة، وفي نفس الوقت بريطاني أسس وفقا للقانون البريطاني، وفيه موظفون بريطانيون...فهو إذن شأن صفقة اختلط فيها الحلال بالحرام، فانظر حكمها!. أم نقول لهم دعوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله. أم نحكم أنفسنا ونعمل بالواجب، ونذكرهم في هذا الشأن بما قال الله تعالى لنبيه الكريم في مسألة "مسجد الضرار"

الذي أسسه المنافقون: ﴿لا تقم فيه أبدا لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين﴾[1].

ب- رد و تأصيل:

إن الادعاء بأن الاقتصاد الإسلامي اقتصاد ربوي هو ادعاء باطل وتصور خاطئ وقول مردود؛ فالربا قد حرم في التوراة والإنجيل والقرآن ولم يحل في شريعة قط بدليل قول الله عز وجل: ﴿وأخذهم الربا وقد نهوا عنه﴾[2]، وحرم الإسلام قليله وكثيره، خفيه وجليه، والشاهد من القرآن الكريم أن الله تعالى قد أعلن الحرب على آكل الربا بقوله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مومنين فإن لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون﴾[3].

كما أن بيان الرسول عليه الصلاة والسلام في موضوع الربا جاء صريحا وواضحا، ومخصصا للمعلن عليه الحرب في قوله عليه الصلاة والسلام: «لعن الله آكل الربا ومؤكله وشاهده وكاتبه، وقال:وهم سواء»، وجاء رده على كل الادعاءات والاتهامات المغرضة بشأن الاقتصاد الإسلامي ردا بليغا بقوله عليه الصلاة والسلام في حجة الوداع: «وربا الجاهلية موضوع وأول ربا أضعه ربانا ربا العباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله...»[4]؛ فالرسول عليه الصلاة والسلام التقط أخطر سلبية تنخر كيان الأفراد بل تؤدي إلى هدم الاقتصاد العالمي بأسره ومعاناة البشرية جمعاء من الظلم الاقتصادي؛ هذا الظلم؛ وأي ظلم أكبر مما وصل إليه الاقتصاد الوضعي الذي سمح لـ 20% من الناس يتحكمون في رقاب

---

[1] – سورة التوبة، آية:108.

[2] –سورة النساء / آية:161.

[3] – سورة البقرة / آية 278–279.

[4] – أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب:حجة النبي ﷺ.

80% من سكان العالم، والذي نتج عنه خلل في المعيشة؛ حيث إن ما يقارب ⅓ من السكان يعيشون على دولار واحد في اليوم، في حين أن ¼ من سكان الأرض يعيشون على وجبة واحدة، وما هي بوجبة كاملة ! وكشفت دراسة لـــ: "هانس بيتر مارتن" و"هارالد شومان" أن 358 ملياردير في العالم يمتلكون ثروة تضاهي ما يملكه 2,5 مليار من سكان العالم؛ أي ما يزيد قليلا على نصف سكان العالم، وأن 20% من دول العالم تستحوذ على 85% من الناتج العالمي الإجمالي وعلى 84% من التجارة العالمية ويمتلك سكانها 85% من مجموع المدخرات العالمية [1].

وإن هذه الظاهرة التي اختارها الرسول ﷺ وركز عليها في خطبة الوداع هي أساس معافاة الاقتصاد العالمي إن تم الابتعاد عنها، وهي رد على ما يدعيه هؤلاء بأن الاقتصاد الإسلامي اقتصاد ربوي، وأن الإسلام لا يوفر بيئة صالحة للأعمال، هؤلاء الذين لا يفرقون في الحقيقة بين المنهج الإسلامي في التعامل المالي أو المنهج الاقتصادي الإسلامي، وبين الواقع المتردي والمشوه الذي يعرفه الاقتصاد في العديد من الدول الإسلامية، والذي نتج في حقيقة الأمر عن ضعف وغياب القيم الإسلامية النبيلة في مجال المعاملات المالية من جهة، ومن جهة أخرى عن التبعية التي فرضتها القوى الغربية أو التي تركها الاستعمار الغاشم في هذه الدول، وأن الربا في حقيقته هو تبع للنظام الرأسمالي المسيطر على البلدان الإسلامية ومظهر من مظاهره الشنيعة،ونظام ابتدعه الغرب فاستغل به الفقراء والمحتاجين واستذل به الدول والشعوب.

[1] – فخ العولمة، تأليف: هانس بيتر مارتن و هارالد شومان، ترجمة عدنان عباس علي، مراجعة وتقـــديم: رمزي زكي، سلسلة عالم المعرفة ع 238، أكتوبر 1998م، ص: 23 و54 .

النقطة الثانية:

هل الإسلام يوفر بيئة صالحة للأعمال؟

جواب إيجابي لسؤال سلبي.

الجواب الشافي:

تأسيسا على ما سبق نقول إن الإسلام يوفر أصلح بيئة للقيام بجميع الأعمال اقتصادية كانت أو غير ذلك من خلال ما سنه من تشريعات عادلة ومنظمة و محكمة انطلاقا من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، هذا هو الجواب الإيجابي الأول عن سؤال جامعة "كنساس".

لكن نجيبهم بسؤال: هل أنظمتهم توفر بيئة صالحة للقيام بالأعمال ؟ إن كان الجواب بنعم، فكيف يفسر ما وصلت إليه أحوال المال والأسواق المالية في العالم، وما أصبحت عليه حالات أنفس رجال الأعمال إثر الأزمة المالية العالمية؛ هذه الأزمة التي كشفت عن خطر التبعية للنظام الرأسمالي حيث أصابت البورصات المالية عبر العالم، وأصاب غبارها أسواق المال في الدول العربية والإسلامية؛ وهذا جزء يسير من آثار تطبيق الأنظمة الربوية و دعم البنوك المركزية.

إذن بعد هذا الانكماش أو التوقف المفاجئ"أو ما يعرف بـــ / 3S Systemic Sudden Stop" الذي حدث في الاقتصاد العالمي هل السبب في هذه الأزمة كان الإسلام أم الرأسمالية أم نظام آخر ؟ وهل أصبحت الأسواق العظمى بدورها في حاجة إلى المعجزة العنقاء / اقتصاد "ينهض من بين رماد" كما عبر عنه خبير الاقتصاد Guillermo A.Calvo[1] بشأن الأسواق الناهضة والاقتصاديات المتخلفة، وهل هذه المعجزة قد تتحقق من خلال الرأسمالية أم خلال نظام اقتصادي عادل..! الذي لا نشك قطعا أنه الإسلام.

---

[1] – مجلة التمويل والتنمية / finance and development / مجلة تصدر عن صندوق النقد الـــدولي، المجلد 44، مارس 2007م، ص: 4-6

إن الأزمة الحالية إن عرفت انفراجا ما فإن الغرب لا ينبغي له أن يطمئن كثيرا؛ لأن حرب الله معلنة: ﴿فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله...﴾[1]، ولأن الغرب نفسه بات في وضع الخائف من الرأسمالية؛ حيث إن العديد من الدول الغربية لا تلقن لأبنائها مبادئ اقتصادية رأسمالية في المناهج والمقررات الدراسية، وباتت الرأسمالية الاقتصادية محط انتقاد وتخوف لدى بعض الدول الأوروبية؛ وتكشف دراسة لـ" ستيفان ثيل" أن دولا مثل فرنسا وألمانيا تربي أبناءها من خلال الكتب المدرسية مادة الاقتصاد وفق منهاج عدائي ومناهض للرأسمالية والعولمة والسوق الحرة؛ حيث يتم تلقين الطالب على أن المبادرة الاقتصادية غير أخلاقية وغير صحية، وأن التقدم الاقتصادي هو السبب الرئيسي للآفات الاجتماعية... والكاتب وهو يرصد الظاهرة ينبه القارئ إلى أن:" سبب ذلك لا يعود إلى كون هؤلاء الأطفال يرتادون مدارس إسلامية في باكستان أو المدارس الحكومية في المملكة العربية السعودية، فالحقيقة مغايرة لذلك، إنهم يعيشون في اثنين من أعظم الديمقراطيات في العالم: فرنسا وألمانيا"، ولإضفاء نوع من المصداقية على بحثه يعطي نماذج حية منها مقرر من المقررات الفرنسية:" العلوم الاقتصادية والاجتماعية " وهو كتاب يدرس في المرحلة الثانوية – حيث يكون الطالب مقبلا على التخصص الجامعي –، وأبرز ما يتعرض له الكتاب: التفاوت الاجتماعي وعدم المساواة / التعبئة الاجتماعية والنزاع / الفقر والتهميش/ العولمة والتنظيم. وتفرض الوزارة من خلال هذه النوعية من المقررات تعلّم التنظيم العالمي كردة فعل على العولمة؛ لأن العولمة وحسب بعض هذه الكتب تعني خضوع العالم للسوق وهو ما يشكل خطرا ثقافيا حقيقيا.[2]

---

[1] – سورة البقرة/ جزء من آية 279.

[2] – فلسفة الفشل الأوربية، ستيفان ثيل، عن مجلة FP: Foreign Policy / النسخة العربية، العـدد 164 ص: 31-33 – 36 بتصرف.

النقطة الثالثة:

التخلف الاقتصادي دليل إهمال الحث على الكسب: جهل أو وهم أو سوء فهم.

الأسباب الفاعلة:

إن التفسيرات الخاطئة لأسباب التخلف عموما غالبا ما تصدر عن تفكير متحيز، أو انحياز معين لنظام ما، وإما عن اعتقاد خاطئ وجهل حقيقي بالظروف المحيطة والملابسات والأحوال العامة القَبْلية، وعدم الإحاطة عِلْما بالعوامل والمؤثرات الخارجية. وإن نعت الدول الإسلامية بالدول النامية أو السائرة في طريق النمو -وإن كانت حقيقة واقعية - فالسبب ليس هو الدين، أو بالأحرى خلل في مبادئ وقيم الدين الإسلامي، وإنما السبب هو الإنسان والنظام؛ فالإنسان مسؤول عن نسبة معينة من حجم التخلف من جهة، ومن جهة الأنظمة الاستعمارية التي عرفتها الدول حيث هذا الإنسان جزء من النسيج الاجتماعي. فظاهرة التخلف؛ ومنها التخلف الاقتصادي هي ظاهرة لصيقة بالإنسان وليس بالأديان، والإنسان هو المسؤول عن التخلف أو التنمية على حسب مهاراته وإدراكاته وتصرفاته، بالإصلاح أو الإفساد، بالإعمار أو الخراب؛ لأن الله تعالى خلق كل شيء على الصلاح: ﴿...ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين﴾[1]. أما عن سبب وسر انحطاط المسلمين وتدهور أوضاعهم وسوء أحوالهم فيكشف عنه علي عزت بيكوفيتش بقوله: "لقد انشطرت وحدة الإسلام على يد أناس قصروا الإسلام على جانبه الديني المجرد، فأهدروا وحدته وهي خاصيته التي يتفرد بها عن سائر الأديان، لقد اختزلوا الإسلام إلى دين مجرد أو إلى صوفية، فتدهورت أحوال المسلمين؛ ذلك أن المسلمين عندما يضعف نشاطهم وعندما يهملون دورهم في هذا العالم ويتوقفون عن التفاعل معه

---

[1] - الأعراف / جزء من 85

تصبح الدولة الإسلامية كأي دولة أخرى، ويصبح تأثير الجانب الديني في الإسلام كتأثير أي دين آخر.."[1].

كما أن الاستعمار هو سبب رئيسي للتخلف الاقتصادي للمسلمين اليوم؛ وكما يقول د: والتر رودني؛ وهو يتحدث عن أوبا والتخلف في إفريقيا وبعد أن استعرض مجالات وأسباب النماء في إفريقيا قبل دخول الأوربيين، وبعدما بين كيف كان المجتمع الإفريقي بؤرة للتطور ومجتمعا مشاركا في التنمية الشاملة، يقول: "...وفيما يتعلق بالسؤال عما ومن هو المسؤول عن تخلف إفريقيا فإنه يمكن الإجابة عنه على مستويين؛ أولا: إن الإجابة تتمثل في أن أداء النظام الإمبريالي يتحمل مسؤولية رئيسة عن إعاقة النمو الاقتصادي في أفريقيا عن طريق نزح ثروات أفريقيا مما جعل من المستحيل تنمية موارد القارة بشكل أكثر سرعة. وثانيا: ينبغي أن نشير إلى أولئك الذين يتدبرون النظام وأولئك الذين يعتبرون إما عملاء لذلك النظام وإما شركاء غير واعين،وقد كان رأسماليو أوروبا الغربية هم الذين مدوا، فعلاً، استغلالهم من داخل أوروبا ليشمل أفريقيا بأسرها.... وقد انضم إليهم، مؤخراً، رأسماليو الولايات ا لمتحدة الأمريكية، بل إن هؤلاء قد حلوا بدلاً من الأوروبيين بدرجة ما."[2]، فأثر الماضي باق إلى اليوم، ويستمر على حاله إن ظل المسلمون في حالة التبعية للأنظمة الغربية؛

كما قال أ. م. بابو[3] :"...ألسنا كمتخلفين الآن لأننا كنا مستعمَرين في الماضي؟ ولا يوجد أي تفسير آخر لحقيقة أن العالم المتخلف بأسره كان، من الناحية العملية، مستعمَرا بشكل مباشر أو غير مباشر من جانب القوى الغربي. وما هو الاستعمار إذا لم يكن نظاما "للاستثمارات الأجنبية" للقوى الاستعمارية؟ وإذا كانت

---

[1] – الإسلام بين الشرق والغرب، علي عزت بيكوفيتش، ترجمة: محمد يوسف عدس، سلسلة نافذة على الغرب 2، الناشر: بافاريا، ط 2/ 1997، ص: 289

[2] – أوربا والتخلف في إفريقيا، تأليف: د. والتر رودني، ترجمة: د. أحمد القصير مراجعة: د .إبراهيم عثمان، دسمبر 1988، سلسلة عالم المعرفة عدد 132، ص: 38– 39.

[3] – وزير(سابق) الشؤون الاقتصادية وتخطيط التنمية بتانزانيا.

هذه القوى قد أسهمت في تخلفنا في الماضي أليس من الممكن أن تسهم، بالأحرى، في تخلفنا الآن حتى وإن كانت المقاليد السياسية بأيدينا. وإن وضع الأمور على هذا النحو يجعل قضية التخلف أكثر وضوحا على الفور حتى بالنسبة لغير المطلعين..." [1].

بل وإن القابلية لهذا الاستعمار: "الذي درس أوضاعنا النفسية دراسة عميقة، وأدرك منها موطن الضعف فسخرنا لما يريد" –حسب فكر مالك بن نبي –[2]، والخلل العقائدي الذي ضعف القدرة على التحرر من آثار الحضارة الغربية هو سبب في تخلف المسلمين اليوم.

وتأسيسا على ما سبق فإنه لا يعقل أن يعزى سبب التخلف الاقتصادي للمسلمين إلى الدين الإسلامي؛ فتخلف المسلمين – بالمفهوم الغربي – هو ناتج في حقيقة الأمر عن تجاهل المنهج الاقتصادي والحضاري الإسلامي، والانسياق وراء النظم التي لا تتفق مع الثوابت العقدية والقيم الحضارية والخصائص الثقافية وفي مقدمتها الأنظمة الغربية. صحيح أن هناك برمجة سلبية من قبل المسلمين، لكن في الوقت نفسه هناك مخطط خطير من قبل الغرب حيث إنه يشغل المسلم في كل لحظة بقضية ما...ويغرقه في أمور معينة من أجل صرفه عن العطاء والإبداع والتنمية؛ فأصبح هم المسلم هو الصراع مع المصطلحات والمفاهيم والنظريات تحليلا وتعقيدا، أو الركون إلى زاوية الدفاع، أو الانشغال بماديات الحضارة الغربية... حسب اختلاف الطبائع والمواقف.

الأجوبة الفاخرة:

إن الإسلام كان عظيما في نظرته للملكية الفردية وأنها ملكية انتفاع وتصرف ومعلقة على شرط، وفي نظرته إلى الملكية الجماعية وأن المسلمين شركاء [3]... وأن

---

[1] – أوربا والتخلف في إفريقيا، ص: 373.

[2] – شروط النهضة، مالك بن نبي، ترجمة عبد الصبور شاهين، طبعة دار الفكر، دمشق، 1960 م، ص: 145 – 153 – 155.

[3] – فعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «المسلمون شركاء في ثلاث في الماء و الكلإ والنار وثمنه حرام» أخرجه أبن ماجه، باب: المسلون شركاء في ثلاث.

المال مال الله سبحانه وتعالى تُرْجِمَ في الفكر الإسلامي إلى أنه مال كل الذين يعيشون في دار الإسلام ويستظلون برايته من مسلمين وغير مسلمين.

وتعاليم الإسلام تحث على السعي والعمل من أجل توفير متطلبات الحياة، وتمكن الأفراد والجماعات من الحرية الاقتصادية الشاملة والمتمثلة في حرية امتلاك المواد الإنتاجية.

بل إن الإسلام عرف منذ ظهوره ما يسمى اليوم بنظرية التحفيز؛ وهو ما تجسده العديد من الآيات القرآنية؛ ومنها أجملها قول الله تعالى: ﴿ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين﴾[1].

وإذا كان الله عز وجل قد جعل التقوى أساس سعة الرزق كما في قوله تعالى: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب...﴾[2]، فقد حث على الكسب الحلال و الضرب في الأرض من أجل استباق الخيرات وتحصيل المنافع وتيسير سبل العيش والابتغاء من فضله تعالى؛ قال عز وجل: ﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله﴾[3]، وأحل بذلك الأرباح في التجارة بالبيع والشراء وحرم الربا؛ قال تعالى: ﴿وأحل الله البيع وحرم الربا﴾[4].

كما أعطى للفرد حرية التصرف والانتفاع والاستهلاك في حدود الوسطية والاعتدال؛ ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا﴾[5]، وحرية اختيار العمل الذي يتناسب مع الطاقات الفكرية والجسمية...، وحرية التنقل في مناكب الأرض طلبا وسعيا للرزق كما في قوله تعالى: ﴿هو الذى جعل لكم الأرض

---

1 – سورة فصلت، آية 33.

2 – سورة الطلاق، آية: 2 – 3.

3 – سورة الجمعة، آية: 10.

4 – سورة البقرة، آية:275.

5 – سورة الإسراء، آية 29.

ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه﴾[1]، وقول الله ﷻ: ﴿وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله﴾[2]، وبموازاة ذلك حث القرآن الكريم على ضرورة استثمار الوقت: ﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شىء فصلناه تفصيلا ﴾[3]، ومن أجل تحقيق هذا في ظروف ملائمة وضع الإسلام نظاما يوافق طبيعة الإنسان ويحترم تكوينه؛ حيث خصص وقتا للعمل وآخر لاستعادة الراحة الذهنية والبدنية كما هو البيان في قول الله تعالى: ﴿هو الذى جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا ﴾[4]والتبيان في قوله ﷻ: ﴿وجعلنا النهار معاشا﴾ [5]؛ ليسخر الإنسان موارده الفكرية وطاقاته المختلفة لخدمة المجتمع ورقيه ونموه وفق نظرية الاستخلاف في الأرض والتكليف بالإعمار والإصلاح والتنمية؛ عملا بقول الله عز وجل: ﴿هو الذى جعلكم خلائف فى الأرض﴾[6].

وفي الحديث النبوي الشريف أبواب عظيمة خاصة بالحث على العمل اليدوي، والتشجيع على العمل الفردي، والتعاون والتشارك في المجالات الفلاحية والصناعية والتجارية، وسائر فروع الخدمات؛من أجل تحقيق التكامل الاقتصادي، وتحدد المنطلقات الأساسية للتنمية الاقتصادية؛ فقد ربط عليه الصلاة والسلام أولا بين الاقتصاد والاعتقاد؛ فدعا ﷺ إلى العمل، وقرنه بموجبات الإيمان يقول ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير احرص

[1] – سورة الملك، آية 15.
[2] –سورة المزمل، آية 20.
[3] – سورة الإسراء / آية 12.
[4] – سورة الفرقان / آية 47.
[5] – سورة النبا / آية 11
[6] – سورة فاطر، آية: 39.

على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز... »[1] . وفي مجال الشركات التجارية مثال رائع للتربية الاقتصادية في المنهج النبوي؛ حيث ربط ﷺ العمل بالعبادة؛ وهو يقول للشريكين الذين اختصما إليه ﷺ في اقتسام الربح والخسارة، حيث كان أحدهما يواظب على التجارة والثاني على الصلاة خلف النبي عليه الصلاة والسلام، فأراد الأول أن يستأثر بمزيد من الأرباح، لكن التوجيه النبوي جعله يفهم أن ربح الشركة إنما حصل بمواظبة الأول على العمل ومواظبة الثاني على الصلاة خلف الرسول ﷺ والدعاء.

وحث عليه الصلاة والسلام على عمل الرجل بيده وشجع الدخل الخاص؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير أن يسأل أحدا، فيعطيه أو يمنعه** »[2]، وجعل أفضل الكسب كسب التجار؛ قال عليه الصلاة والسلام: «**إن أفضل الكسب كسب التجار الذين إذا حدثوا لم يكذبوا، وإذا وعدوا لم يخلفوا، وإذا ائتمنوا لم يخونوا، وإذا اشتروا لم يذموا، وإذا باعوا لم يمدحوا، وإذا كان عليهم لم يمطلوا، وإذا كان لهم لم يعسروا**»[3]. وهذه التجارة وضع لها أسسا قويمة، وهَمَّ عليه الصلاة والسلام إلى إنشاء سوق على خلاف سوق بني قينقاع التي تسيطر عليها اليهود؛ وهي سوق إسلامية يتحرر فيها البائع والمشتري من قيود الاستغلال والاحتكار والربا والمعاملات المالية غير المشروعة، ويتحقق من خلالها نظام الاستقلال الاقتصادي.

ولتفعيل نظام الاستقلال الاقتصادي، وتحقيق تنمية إسلامية شاملة ارتأى عليه الصلاة والسلام تهيئة مورد مائي مستقل يضمن للمسلمين حرية التصرف في المياه؛ حيث فكر عليه الصلاة والسلام في شراء بئر رومة وجعل منافعها للمسلمين بعيدا

---

[1] – أخرجه مسلم، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله.

[2] – أخرجه البخاري، كتاب البيوع، باب:كسب الرجل وعمله بيده، رقم 2074.

[3] – الترغيب والترهيب، للمنذري ، كتاب البيوع، باب: ترغيب التجار في الصدق وترهيبهم من الكذب والحلف، 2 / 582 ط دار الفكر.

عن سيطرة واستذلال اليهود، وشجع الصحابة على شرائها منهم؛ فاشتراها عثمان بن عثمان ﷺ[1].

كما أنه عليه الصلاة والسلام كان يعرف كيف يدير الأزمات المالية ويواجه التضخم الاقتصادي، وذلك انطلاقا من ترتيب الأولويات والحث على العمل الاجتماعي، فهو عليه الصلاة والسلام من رفض إعطاء علي وفاطمة ﷺ خادما من السبي قبل أهل الصفة[2]؛ لأنه رأى أن سد جوع أهل الصفة ضرورة ملحة، وأما حاجة علي وفاطمة ﷺ فليست برتبة احتياج أهل الصفة، فهو بذلك لم يسمح بتركيز الثروة في جهة، ولم يجمد أموال المسلمين في مصارف خاصة؛ ولم يطبق رأسمالية ولا اشتراكية ولا نظاما آخر...بل ركن إلى نظام الشريعة والعقيدة الذي مكنه من تحقيق العدل ونشر السلم، وحل المشكلات العقدة؛ وقد صدق برنارد شو حين قال: "إني أعتقد أن رجلا كمحمد لو تسلم زمام الأمر في العالم بأسره لتم له النجاح في حكمه ولقاده إلى الخير، وحل مشكلاته على وجه يكفل للعالم السلام والسعادة المنشودة".

---

[1] – في صحيح البخاري، كتاب المساقاة، باب في الشرب؛...قال عثمان قال النبي ﷺ من يشتري بئر رومة فيكون دلوه فيها كدلاء المسلمين فاشتراها عثمان رضي الله عنه.

وفي الاستيعاب قال ابن عبد البر: "...واشترى عثمان رضي الله عنه بئر رومة وكانت ركية ليهودي يبيع المسلمين ماءها فقال رسول الله ﷺ: " من يشتري رومة فيجعلها للمسلمين يضرب بدلوه في دلائهم وله بها مشرب في الجنة ". فأتى عثمان اليهودي فساومه بها فأبى أن يبيعها كلها فاشترى نصفها باثني عشر ألف درهم. فجعله للمسلمين، فقال له عثمان رضي الله عنه: إن شئت جعلت على نصيبي قرنين وإن شئت فلي يوم ولك يوم. قال: بل لك يوم ولي يوم. فكان إذا كان يوم عثمان استقى المسلمون ما يكفيهم يومين، فلما رأى ذلك اليهودي قال: أفسدت علي ركيتي فاشتر النصف الآخر فاشتراه بثمانية آلاف درهم."

الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر، 3/ 1039– 1040.

[2] – الحديث في صحيح البخاري، كتاب فرض الخمس، باب الدليل على أن الخمس لنوائب رسول الله ﷺوالمساكين وإيثار النبي ﷺأهل الصفة والأرامل حين سألته فاطمة وشكت إليه الطحن والرحى أن يخدمها من السبي فوكلها إلى الله.

المحور الثالث: المجال الحقوقي و الأسري

- ✓ حقوق المرأة مهضومة : تصور ضال ونظرة خاطئة .
- ✓ الحجاب حجب العلم والمعرفة: فكر خسيس و وسوسة إبليس .
- ✓ المساواة المطلقة: ترويج أوهام وتحريف أحكام.

المحور الثالث: المجال الحقوقي و الأسري

النقطة الأولى:

"حقوق المرأة مهضومة".

تصور ضال ونظرة خاطئة.

البدء:

إن كان موضوع "حقوق المرأة" من المواضيع التقليدية إلى حد ما فإنه أصبح يكتسي حيوية متزايدة أمام تزايد اهتمام الغرب بموضوع المرأة المسلمة، وما يثار من جدل حول الحقوق وممارستها، وكذلك ما يتصل بالقضية من تحريفات وأسانيد وأقاويل وأباطيل وتأويلات؛ فضلا عن تداخل جملة من العادات المتغايرة زمانا ومكانا...

ونحن إذ نفتح هذا الموضوع من جديد فليس الهدف هو استعراض ما كان عليه وضع المرأة في الجاهلية، ولكن لأن جاهلية أخرى قد ظهرت في مجتمعاتنا مع ظهور ما يعرف بالثقافة "الوافدة"[1]، التي تحاول التشكيك في مسألة الحقوق في الإسلام تحت شعار: "حقوق الإنسان"، وخصوصا المرأة؛ لأنها الوسيلة الأساسية التي يتم من خلالها التغلغل في المجتمعات الإسلامية.

وإن المعالجة الموضوعية لهذه المسألة بالذات تقتضي الرد بكل جرأة ومسؤولية ومصداقية، وهذا الأمر إن كان من المفروض أن يتم عن طريق الحجج الدامغة والأدلة النقلية المتمثلة في الدستور الإلهي والإعلانات النبوية، فإن الوضع التاريخي والآني يقتضي دعوة هؤلاء العلمانيين أصحاب "حقوق الإنسان" إلى دراسة ميدانية في مجتمعاتهم لإحصاء نسبة النساء المعَنَّفات والمهضومات الحقوق حقا وفعلا، ثم دعوتهم

---

[1] – وأحب في هذا المقام أن أسميها "الوافدة" على وزن "الفاسدة" ؛ لأنها أفسدت كل جميل، ودمرت كل أصيل، وكل شيء دخلت عليه أحدثت فيه شرخا وصداما ؛عقيـــدة و أخلاقـــا وأفكـــارا وعلاقـــات ومعاملات...

قبل ذلك إلى إعادة القراءة في إعلاناتهم ومواثيقهم وعهودهم ودساتيرهم، ليكشفوا لنا عن حظ المرأة من تلك الحقوق المعلن عنها دوليا، وماذا استفادت المرأة من ذلك غير الانحلال والفساد والخراب الأسري...

الاستقراء:

تجدر الإشارة أولا إلى أنه منذ الستينات وإلى حدود الألفية الحالية انعقدت عشرات من المؤتمرات الدولية الخاصة بالمرأة[1]، ناهيك عن المؤتمرات العامة التي تتضمن قضايا المرأة كمسألة أساسية أو جانبية، وهذه المؤتمرات وإن كان فيها من الإيجابيات فإن سلبياتها أكثر من أن تحصى، وهي تلتقي عند إلغاء المفاهيم الصحيحة والتوقيع على المفاهيم الفاسدة والتشجيع على الفساد؛ من خلال الاعتراف بحرية العلاقة الجنسية المحرمة وإلغاء القوانين الزجرية الخاصة بالإجهاض، وتيسير انتشار العازل الطبي...كما تركز هذه المؤتمرات على سياسة تفكيك الأسر أخلاقيا واقتصاديا من خلال سلب قوامة الرجل على المرأة، واعتبار عمل المرأة في بيتها أمر موجب للفقر؛ لأنه عمل بدون مقابل، والدعوة إلى التساوي في الميراث كمورد اقتصادي مضمون للمرأة، وغير ذلك...

إن هذه المؤتمرات والإعلانات العالمية ليس الغرض منها في الحقيقة إنصاف المرأة وتمكينها من الحقوق الشرعية، بل الهدف منها هو دفع المرأة إلى المطالبة بالحقوق غير المشروعة، والتي يكون الهدف منها في الغالب زرع الفتنة وإثارة الخلاف وزعزعة القيم والمبادئ، وطمس الهوية ليس إلا، وهي في غالبها تركز على المساواة بين الرجل والمرأة في كل الأحوال، وعن هذه المساواة تتفرع كل الآفات...ومن بين هذه المؤتمرات الخاصة والعامة أذكر مثلا:

---

[1] – منها: مؤتمر مكسيكو 1975 م / مؤتمر كوبنهاكن 1980م / مؤتمر مكسيكو 1984م / مؤتمر ريدو جانيرو 1992 م / مؤتمر فيينا 1994م / مؤتمر كوبنهاكن 1995م / مؤتمر بكين (1995م) / مؤتمر بكين +10 (2005م).

☒ أولا: ميثاق الأمم المتحدة/ 1945 م:

قبل الإعلان العالمي لحقوق الإنسان نص ميثاق الأمم المتحدة على ضرورة التساوي بين الرجال والنساء في الحقوق؛ فنصت الفقرة 2 من المادة 13، و الفقرة 3 من المادة 55،و الفقرة 3 من المادة 76 على:"... تحقيق واحترام والتشجيع حقوق الإنسان والحريات الأساسية للناس كافة بلا تمييز بينهم في الجنس أو اللغة أو الدين ولا تفريق بين الرجال والنساء، ومراعاة تلك الحقوق والحريات فعلا....".

☒ ثانيا: الإعلان العالمي لحقوق الإنسان/ 1948 م:

نص هذا الإعلان كذلك في المادة 2 على أنَّ: "لكل إنسان حق التمتع بكافة الحقوق والحريات الواردة في هذا الإعلان، دون أي تمييز، كالتمييز بسبب العنصر أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين أو الرأي السياسي أو أي رأي آخر، أو الأصل الوطني أو الاجتماعي أو الثروة أو الميلاد أو أي وضع آخر، دون أية تفرقة بين الرجال والنساء...".

☒ ثالثا: العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية لسنة 1966م:

و هذا العهد المخصص للحقوق المدنية ركز بدوره في المادة 3 على أَنْ:" تتعهد الدول الأطراف في هذا العهد بكفالة تساوي الرجال والنساء في حق التمتع بجميع الحقوق المدنية والسياسية المنصوص عليها في هذا العهد."

☒ رابعا: العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لسنة 1966م:

نصت المادة 2 من هذا العهد على أَنْ: " تتعهد الدول الأطراف في هذا العهد بأن تضمن جعل ممارسة الحقوق المنصوص عليها في هذا العهد بريئة من أي تمييز بسبب العرق، أو الجنس، أو اللغة، أو الدين، أو الرأي سياسياً أو غير سياسي، أو الأصل القومي أو الاجتماعي، أو الثروة، أو النسب، أو غير ذلك من الأسباب".

⊠خامسا: اتفاقية القضاء على جميع أشكال التميز ضد المرأة /"السيداو" CEDAW /1979م.

في الديباجة أشارت الدول الأطراف في الاتفاقية إلى الأهداف العامة والمبادئ الأساسية التي تم التركيز عليها وتداركها: "....وإذ يساورها القلق، مع ذلك لأنه يزال هناك، على الرغم من تلك الصكوك المختلفة، تمييز واسع النطاق ضد المرأة.

وإذ تشير إلى أن التمييز ضد المرأة يشكل انتهاكا لمبدأي المساواة في الحقوق واحترام كرامة الإنسان، ويعد عقبة أمام مشاركة المرأة، على قدم المساواة مع الرجل، في حياة بلدهما السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، ويعوق نمو رخاء المجتمع والأسرة ويزيد من صعوبة التنمية الكاملة لإمكانات المرأة في خدمة بلدها والبشرية.

وإذ يساورها القلق، وهى ترى النساء، في حالات الفقر، لا ينلن إلا أدنى نصيب من الغذاء والصحة والتعليم والتدريب وفرص العمالة والحاجات الأخرى.

وإذ تؤمن بان إقامة النظام الاقتصادي الدولي الجديد، القائم على الإنصاف والعدل، سيسهم إسهاما بارزا في النهوض بالمساواة بين الرجل والمرأة...."

⊠سادسا: إعلان بكين (1995م) وبكين+10 (2005 م):

نصت المادة 8 من بكين على: " تساوي النساء والرجال في الحقوق والكرامة والإنسانية المتأصلة وسائر المبادئ والمقاصد المنصوص عليها في ميثاق الأمم المتحدة والإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وغير ذلك من الصكوك الدولية لحقوق الإنسان لاسيما اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة واتفاقية حقوق الطفل فضلا عن إعلان القضاء على العنف ضد المرأة وإعلان الحق في التنمية". وتقر المادة 14 من الإعلان نفسه على أن: "حق المرأة من حقوق الإنسان". وتشير المادة 13 مثلا من بكين + 10 إلى: "القضاء على كافة أشكال التمييز ضد النساء والفتيات وضمان تمتعهن بالكامل بكافة الحقوق الإنسانية كجزء غير قابل للتنازل ولا غنى عنه ولا يتجزأ عن حقوق الإنسان والحريات الأساسية".

النتيجة:

رغم كل الإعلانات والمؤتمرات الدولية التي دافعت عن حقوق المرأة، وضمنت لها المساواة المطلقة مع الرجل في الحقوق والواجبات؛ فإن هذه النصوص التي ركزت في مجملها على مسألة المساواة، والقضاء على كافة أشكال التمييز ضد المرأة هي نفسها لم تضمن للمرأة كرامتها وعزها، ولازالت المرأة حتى في الدول الغربية -التي تدعي الدفع بمسألة حقوق الإنسان – تعاني من العنف والقهر والاعتداء الجنسي...

• نماذج من تقارير العنف ضد المرأة في الغرب.

✓ في أمريكا:

79 % من الرجال يضربون زوجاتهم ضربا يؤدي إلى عاهة، 17 % منهن تستدعي حالاتهن الدخول للعناية المركزة.

وحسب تقارير للوكالة المركزية الأمريكية للفحص والتحقيق تقول إن هناك زوجة يضربها زوجها كل 18 ثانية.

✓ في فرنسا:

مليوني امرأة معرضة للضرب سنويا؛ وحسب تقرير لأمينة سر الدولة لحقوق المرأة تقول فيه: "حتى الحيوانات تعامل أفضل من النساء؛ فلو أن رجلا ضرب كلبا في الشارع سيقوم شخص ما لجمعية الرفق بالحيوان، لكن لو ضرب رجل زوجته في الشارع لن يتحرك أحد في فرنسا".

وغير بعيد عن هذا يأتي قول "علي عزت" وهو من عاين الغرب عن قرب، وليس الخبر كالعيان، فهو يبين الوضع ويصف الحال بقوله: "لقد أحالت الحضارة النساء إلى موضع إعجاب أو استغلال، ولكنها حرمت المرأة من شخصيتها وهو الشيء الوحيد الذي يستحق التقدير والاحترام.وهذا الوضع مشهود بشكل مطرد وقد أصبح أكثر وضوحاً في مواكب الجمال أو في بعض مهن نسائية معينة مثل

"الموديلات" وفي هذه الحالة لم تعد المرأة شخصية ولا حتى كائناً إنسانياً، وإنما هي لا تكاد تكون أكثر من: (حيوان جميل) "[1].

البيان والتبين:

بعد كل ما سبق نقول لهؤلاء تدبروا الإعلان الحقيقي الذي يستحق أن يسمى الإعلان العالمي، وهو إعلان الرسول عليه الصلاة والسلام في خطبة الوداع التي خاطب فيه الإنسانية جمعاء بقوله: "يا أيها الناس"، وتدبروا قبل ذلك الدستور الإلهي الذي لم يميز بين الخلق، وأعطاه جميع الحقوق.

فلابد إذن من الفهم الشامل والوعي الحقيقي والإدراك التام لنصوص الشريعة الإسلامية التي كرمت المرأة تكريما عظيما لم تحظ به في شريعة قط، ولم توفره لها القوانين الوضعية الأكثر تحضرا وتطورا وعملا بحقوق الإنسان، وكفلت لها كل الحقوق المدنية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية بما يتناسب طبعا مع تكوينها الفسيولوجي ودورها الفطري. ولا بد من الاعتراف أن الإسلام أقر منذ البدء قاعدة الإصلاح الحقوقي وكرس مبدأ حقوق الإنسان عموما، وركز على الحقوق المتبادلة بين الرجل و المرأة خصوصا من أجل الحفاظ على كيان الأسرة؛ فكما جعل للمرأة حقوقا أعطى للرجل كذلك حقوقا نص عليها الرسول عليه الصلاة والسلام بقوله: «**ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه..**»[2]، هذه الحقوق التي جعلها الرسول في حديث آخر من أهم صفات المرأة الصالحة: «**ما استفاد المرء بعد تقوى الله خيرا من زوجة صالحة إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرته، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله**»[3]، ولها طبعا مثل الذي عليها؛ ومن حق المرأة على الرجل النفقة والكسوة والمعاشرة بالمعروف والاحترام.. «**ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف**»[4]، وغير

[1] – الإسلام بين ا لشرق والغرب، ص: 264.

[2] – أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب: حجة النبي ﷺ.

[3] – أخرجه ابن ماجه، كتاب النكاح، باب: أفضل النساء.

[4] – أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب: حجة النبي ﷺ.

ذلك مما هو ثابت بالإجماع، وفي هذا كله الجواب الشافي على افتراء المفترين وتأويل الجاهلين، والدحض الكافي للنموذج الغربي في العلاقات الزوجية القائم على أساس سياسة التفكيك الأسري والانحلال الأخلاقي.

كما أقر الإسلام قاعدة الإصلاح النسائي؛ وذلك عن طريق حماية المرأة واحترامها وحفظ كرامتها وإعطائها جميع الحقوق الدينية والمدنية والإنسانية، على خلاف ادعاءات وشبهات المغرضين أعداء وأدعياء الإسلام، الذين يتخذون من قضية المرأة مبررا ومدخلا لتشويه صورة الإسلام، واتهام الشريعة الإسلامية بعدم العدل وحرمان المرأة من حقوقها. وخير رد على هؤلاء قول الرسول ﷺ: «**اتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله...**»[1]، وهو يستوصي عليه الصلاة والسلام في خطبته بالنساء خيرا: «**ألا و استوصوا بالنساء خيرا فإنما هن عوان عندكم ليس تملكون منهن شيئا غير ذلك..**»[2]، فتعامل عليه الصلاة والسلام مع نسائه ومع النساء عموما بالحسنى، وأوصى أصحابه بعدم تعرض المرأة للضرب بقوله ﷺ: «**أما يستحيي أحدكم أن يضرب زوجته كما يضرب العبد يضربها أول النهار ويجامعها آخر الليل..**»[3]، وهو عليه الصلاة والسلام من ثبت عنه أنه لم يضرب أحدا قط، خادما ولا امرأة ولا حيوانا...[4].

---

[1] – أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب: حجة النبي ﷺ.

[2] – أخرجه الترميذي، كتاب الرضاع، باب: ما جاء في حق المرأة على زوجها.

[3] – مصنف عبد الرزاق، كتاب العقول، باب: ضرب النساء والخدم، 9/ 442 رقم: 17943، وفي صحيح البخاري: «عن عبد الله بن زمعة عن النبي ﷺ قال لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد ثم يجامعها في آخر اليوم» كتاب النكاح، باب: ما يكره من ضرب النساء.

[4] – حديث: عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما ضرب رسول الله ﷺ شيئا قط بيده ولا امرأة ولا خادما إلا أن يجاهد في سبيل الله وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله فينتقم لله عز وجل» أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب: مباعدته للآثام واختياره من المباح أسهله...

بل إنه عليه الصلاة والسلام أعطى للمرأة حق الحياة؛ فأشار إلى عدم قتل النساء والأطفال والشيوخ في الحروب...[1]، وأعطى ﷺ حق الحياة للمرأة اليهودية التي أرادت قتله عليه الصلاة والسلام بالشاة المسمومة؛ حين عفا عنها رسول الرحمة المهداة...

[1] – حديث أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «انطلقوا باسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله ولا تقتلوا شيخا فانيا ولا طفلا ولا صغيرا ولا امرأة ولا تغلوا وضموا غنائمكم وأصلحوا وأحسنوا إن الله يحب المحسنين» ← سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب: في دعاء المشركين.

النقطة الثانية:

"الحجاب حجب العلم والمعرفة" .

فكر خسيس ووسوسة إبليس.

﴿يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما﴾ الأعراف/ جزء من 27

الشبهة :

تصور الفتاة المسلمة على أنها فتاة معقدة ترتدي غطاء الرأس، وهي تقضي جل وقتها داخل البيت بين الجدران، ليس لها أي دور في الحياة غير الخضوع لزوج مستبد وأداء الواجبات الأسرية، وتربية الأبناء، وهو الأمر الذي يعيق مسألة التنمية الفكرية والثقافية والاقتصادية... وأن المرأة عليها أن تتخلص من الدين الإسلامي، وحين تتخلص من الدين تستطيع أن تتخلص من الحجاب الذي يغطيها من رأسها إلى قدميها؛ لأن الدين هو العائق أمام تقدم المرأة...!

الرد على الشبهة:

إن الحجاب لم يكن قط عائقا أمام المرأة لتحقيق نجاحات متتالية، وإن ادعاء الغرب سببه عدم معرفة حقيقية بالإسلام؛ لأنه لا يعرف عن تعاليم هذا الدين سوى الصورة المشوهة والزائفة التي رسمها المستشرقون والمبشرون ودعاة العولمة؛ الذين يعتبرون الحجاب رمزا سياسيا للإسلام السياسي، ولا يعرفون عن المرأة المسلمة سوى المظهر الذي يختزلونه بتعبيرهم في العباءة السوداء، وهم في ازدواجية معايير وتناقض أفكار؛لأنهم في الوقت الذي يعدون المسلمة المتحجبة ممتهنة ينظرون للراهبة التي تغطي رأسها باحترام وإجلال، أليس هذا من صميم الجهل المركب...؟!

إن الإسلام في الوقت الذي شرع فيه الحجاب، أمر المرأة بالتعليم والتعلم؛ فبعد رفض كل الأساليب المؤدية إلى الفساد والإفساد في الأرض: ﴿يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض﴾[1]، وبعد رفض التبرج: ﴿وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى..﴾[2] جاء الأمر مباشرة لزوجات النبي ﷺ بالعلم تعلما وتعليما؛: ﴿واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفا خبيرا﴾[3]، وقد قال الإمام القرطبي في تفسير هذه الآية: "فأمر الله سبحانه وتعالى أن يخبرن بما يترل من القرآن في بيوقمن، وما يرين من أفعال النبي عليه الصلاة والسلام، ويسمعن من أقواله حتى يبلغن ذلك إلى الناس، فيعملوا ويقتدوا"[4]، فكان الأمر لنساء النبي عليه الصلاة والسلام وهو أمر لنساء العالمين بالحجاب ثم بالتعلم والحفظ والتبليغ...وكانت أمهات المؤمنين – وهن القدوة في الحجاب – عالمات ومبلغات؛ وتعد أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها، من أشهر الأمثلة في الإسلام في مجال الاهتمام بالعلم والتعليم؛ فقد تعلمت القراءة والكتابة، وروت عن النبي ﷺ كثيراً من الأحاديث وكانت مرجعاً للصحابة في بعض المسائل التي يختلفون فيها، كما كانت تفتي وتعلم الناس بعد وفاة رسول الله ﷺ مما تعلمته في بيت النبوة؛ فعن أبي موسى الأشعري – رضي الله عنه – قال: «ما أشكل علينا أصحاب رسول اللّه ﷺ حديث قط فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علما»[5].

---

[1] – سورة الأحزاب، الآية 32.

[2] – سورة الأحزاب، الآية 33.

[3] – سورة الأحزاب، الآية 34.

[4] – الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تح: أحمد عبد العليم البردوني، ط 2 / 1372، 14 / 184.

[5] ـ أخرجه الترمذي في كتاب المناقب، باب من فضل عائشة – رضي الله عنها –، وقال حديث حسن صحيح.

وقد أثنت عائشة، رضي الله عنها، على نساء الأنصار لأهن كن يطلبن العلم والفقه في الدين: «قالت عائشة نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين »[1].

وعلى نفس النهج سارت المرأة – المسلمة المتحجبة – فجاء التاريخ الإسلامي حافلا بنماذج مشرقة من نساء المؤمنين العالمات المعلمات للخير على مر العصور الإسلامية. واستطاعت أن تبرهن عكس ادعاء الأعداء وافتراء الجهلاء، أن حجاها لم يمنعها من مسايرة الركب في مختلف مجالات الحياة الفكرية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية والخدماتية المتنوعة؛ كانت عونا للرجل وسندا له في كل المجالات خارج البيت وداخله في آن واحد.

كما أسهمت المرأة في التنمية الثقافية والتوجيه العلمي السديد، وكان لها دور جليل في إنقاذ المجتمع من الجهل والأمية؛ فكانت معلمة ناجحة قدمها الرسول ﷺ وأهَّلَها لذلك في مواقف عدة، سواء مع النساء أو في صفوف الرجال.

وإن كانت بعض الصور في الدول الإسلامية تعكس حقيقة ما يعرضه الإعلام الغربي فإن ذلك لا يعكس حقائق الإسلام شريعة وعقيدة، وإنما هي تصرفات وسلوكيات خاصة ناتجة عن جهل بتعاليم الدين الإسلامي لدى المسلم نفسه، أو عن الغزو الفكري الغربي الكاسح وآثار العولمة، وانعكاساها السلبية على جميع النواحي الدينية والأخلاقية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، والذي نالت منه المرأة القسط الأوفر؛ لأهما في أغلب الأحوال هي المستهدفة، فإن تم إفساد المرأة– الركن الأساسي في الأسرة المسلمة– فقد تمت السيطرة عن الجزء الأهم والأوفر من كيان الأسرة وعلى النصيب الأوفر من جغرافية العالم الإسلامي.

ذكرينبغي:

إن هذه المواقف مألوفة؛ وهي مواقف شيطانية منذ أن خلق الله تعالى آدم وحواء، ونحن اليوم أمام وسوسة شيطانين؛ شيطان إبليس وشيطان كل وافد خسيس.

---

[2] –أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب الحياء في العلم.

كما أن تشويه صورة المرأة المسلمة ليس بالأمر المستحدث بل إن الأفاكين لها بالمرصاد في كل وقت وحين؛ وإن في حادث الإفك الدليل القاطع على أنه لا تخلو المجتمعات من مرضى النفوس والمنافقين؛ وأن دورهم في كل زمان ومكان هو السعي الدائب في العداء، وإشعال الفتنة ومحاولة إفساد المجتمع المبني على الطهر والصلاح والأخلاق الحميدة، وأن الإشاعات والدعايات تجد دوماً من يتلقفها ويصدقها بكل سهولة فيروجها دون تفكر، هكذا كان مسطح بن أثاثة وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش وغيرهم ممن تورط في حديث الإفك مثلا للرأي العام المنقاد الذي يمثل وللأسف الشديد الغالبية والسواد الأعظم الذي لا يستطيع متابعة البحث والدرس، وإنما يجد ضالته في التلقي السريع والتداول بلا تدبر ولا تروي.

ويمثل عبد الله بن أبي بن سلول العمود الفقري في حركة النفاق في عصر النبوة، وهو نموذج لخبراء الدعاية وخبراء الحرب النفسية والمعنوية، ومثال حي لوسائل الإعلام المعاصرة التي تسخر لخدمة الأكاذيب السياسية، ونشر اللغو والبلبلة مخالفين قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً﴾[1]، وذلك عن طريق تشويه الصورة الحقيقية للأشياء والأحداث، ومحاولة فرضها على الرأي العام العالمي كحقيقة إعلامية، ومهما تعددت الأسباب فيبقى هدفها هو ضرب الإسلام في عقيدته وتشريعاته، فهم يعرفون متى وكيف وضد من يفجرون الفضائح في الوقت المناسب وبالشكل المناسب لخلق ضجات إعلامية يتم في ظلها إما التخطيط لأشياء أو التغطية على أشياء والمستهدف في كلتي الحالتين هم قطعاً الإسلام والمسلمون.

---

[1] – سورة الأحزاب: آية 70.

النقطة الثالثة:

المساواة مطلقة بين الرجل والمرأة.

ترويج أوهام وتحريف أحكام.

الوهم والتحريف:

أراد الغرب ومن خلال تفعيل سياسة "تفكيك المجتمع" التي ينتهجها في الدول الإسلامية، وسياسة "فرق تسد" أن يجعل المرأة تؤمن بفكرة المساواة المطلقة من خلال التنصيص عليها في كل المؤتمرات العالمية السابقة الذكر وغيرها، فرفعت المرأة المسلمة في هذه الدول هذا الشعار عن غير وعي، ولا تدبر للآيات القرآنية والمفاهيم والإشارات الواردة في الخطاب القرآني بهذا الشأن، ودون تمييز بين مجالات تحقق هذه المساواة، وبين مجالات استحالة تحققها...وتأسيسا على ذلك انعقدت لقاءات عدة للمطالبة بتلك المساواة؛ وكان من أغربها مؤتمر برشلونة الذي انعقد في العام 2006م بحضور "ناشطات مسلمات" من نحو 18 دولة أوربية وإسلامية وعربية وبحضور أمريكي، وطالب المؤتمر بتفسير أنثوي للقرآن الكريم بدعوى أن التفاسير المتداولة هي من تأويلات ذكورية مجحفة للمرأة من حيث الحقوق وشيوع العنف ضد الزوجات؛ وأن المرأة عليها الانخراط في مشروع إعداد تفاسير للقرآن الكريم وتأويل النصوص لمواجهة ظلم المفسرين الرجال الذين غَلَّبوا مصلحة الرجل على مصلحة المرأة...!

ولكن وإن نحن سلمنا بذلك فإن التفاسير نفسها ليست مسألة ملزمة؛ لأنها من وضع بشر، لكل رأي واجتهاد خاص، لكل فهمه ومؤهلاته...كما أن المرأة إن توفرت فيها الشروط والمؤهلات العلمية وغير العلمية وقدمت تفسيرا ما فإن ذلك لن يعطيها الحق في تحريف أحكام القرآن لصالحها وللدفع بمخططات الغرب خصوصا لما يتعلق الأمر بالأحكام الثابتة التي لا مجال للاجتهاد فيها عملا بقاعدة: "لا اجتهاد مع وجود النص"، وما فيه نص قطعي ونص واضح وصريح هو في الغالب ما تروم هذه المنظمات تعديله بل تحريفه؛ من قبيل آيات المواريث، وآيات النفقة، وآيات الحجاب....

الحكم والتصحيح:

إن المساواة مسألة أقرها الإسلام، ولا أحد يستطيع أن ينكر أنها حقيقة قرآنية في التكاليف الشرعية والحقوق والواجبات، وأنها في المقابل وفي مجالات عدة مجرد شعار حقوقي واه، وضرب من الأوهام حسب البراهين والأدلة العلمية.وإن القول بالمساواة المطلقة هو تحريف لمعالم الفطرة التي فطر الله عليها كلا من الرجل والمرأة؛ لأن الله تعالى اختص كل واحد منهما من الصفات البدنية والنفسية ما يستوجب التناسب مع الفطرة التي خلقه عليها، والتي اتفقت في بعض الجوانب الموجبة للتسوية بينهما في هذا الجانب؛ كما في قول الله تعالى: ﴿ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف﴾ [1]، لكنهما يختلفان في جوانب أخرى توجب التفريق بينهما فيها من جانب آخر، إلى حد ورود النفي التام للتساوي الكلي أو المطلق كما في قول الله عز وجل:، ﴿وليس الذكر كالأنثى ﴾ [2].

إنه لا يختلف اثنان أن الإسلام سوى بين المرأة والرجل في أمور منها:

✓ التكاليف الشرعية، والتي حددتها الآية في: الإسلام و الإيمان، والصيام، والصبر والخشوع والصدق والصدقة وسائر أعمال البر وحفظ الفروج وذكر الله...: ﴿إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما﴾[3]، وإن كانت هناك استثناءات واردة في مجال تطبيق بعض هذه

1 – سورة البقرة، آية 228.

2 – سورة آل عمران، آية 36.

3 – سورة الأحزاب / 35.

التكاليف، فهو دليل آخر على أن الاختلاف في الكروموزومات لا يمكن أن تغيره المؤتمرات والشعارات.

✓ وفي العمل الصالح والمثوبة عليه؛ قال تعالى: ﴿من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾[1].

لكن جاءت آيات أخرى لا لتنفي هذه المساواة المقررة بل لتخصص العموم ولتبين أن المساواة حقيقة نسبية وأكذوبة بيولوجية؛ وهذا مظهر من مظاهر الإعجاز في القرآن الكريم: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء﴾[2]؛ فمن حيث التكوين والخلق بدأ القرآن بالرجل، وتمييز بيولوجي واضح في قوله تعالى: ﴿الرجال قوامون على النساء﴾[3].

وإن جاءت التسوية من جهة أخرى واضحة في مسألة العقوبة والحدود، فإن تمييزا خفيا يفهم من خلال النسق القرآني كما في حد السرقة في قول الله تعالى: ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا..﴾[4]؛ حيث بدأت الآية بذكر السارق (الرجل) قبل السارقة (المرأة)؛ لأنه الغالب منه هذا الفعل الإجرامي الذي يستدعي قوة بدنية، ووجه ذكر السارقة مع السارق دفعُ توهّم أن يكون صيغة التذكير في السارق قيداً بحيث لا يجري حدّ السرقة إلا على الرجال، وقد كانت العرب لا يقيمون للمرأة وزناً فلا يجرون عليها الحدود، وهو الدّاعي إلى ذكر الأنثى في قوله تعالى: ﴿الحُرُّ بالحُرِّ والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى﴾[5]، قاله الطاهر ابن عاشور[6]. وأما في

---

[1] – سورة النحل / 97.

[2] – سورة النساء / 1.

[3] – سورة النساء / جزء من 34.

[4] –سورة المائدة / جزء من 38.

[5] – سورة البقرة / آية 178

[6] – التحرير والتنوير، 6/ 190– 191.

حد الزنا في قوله ﷻ: ﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة..﴾[1] فقد بدأت الآية بذكر المرأة الزانية؛ لأن المرأة هي الباعث على ذلك في الغالب.

وبناء على هذه الفطرة وهذا التكوين الفسيولوجي المتباين والذي أوتي فيه الرجل في الغالب قوة أكثر من قوة المرأة، أعطى الله ﷻ للرجل حقوقا تستدعي قوة عقلية وعضلية، وتتطلب ذلك التكوين الخاص: ﴿وللرجال عليهن درجة﴾ [2]، كما أعطى للمرأة حقوقا تتلاءم مع ما أودع الله فيها من صفات نفسية وعاطفية...، وهذا ما يحقق التكامل الأسري. وهذه الحقوق رتب عليها الشارع أحكاما شرعية ثابتة لا يمكن العدول عنها إلى غيرها لمجرد تنظير أو فكر معين...مثل القوامة: ﴿الرجال قوامون على النساء﴾ [3]، والنفقة كما في قول الله تعالى: ﴿على المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف﴾[4]، وقوله ﷻ: ﴿وبما أنفقوا من أموالهم﴾[5]، وقوله تبارك وتعالى: ﴿أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن﴾[6]. والميراث الذي أعطى فيه الله للرجل – ولحكمة شرعية– نصيبا أفضل من نصيب الأنثى في أغلب الأحوال كما في قول الله تعالى: ﴿يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين﴾ [7]، وقوله عز وجل: ﴿وإن كانوا إخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين﴾[8]، وهي آيات صريحة لا تحتاج لتفسير خاص أو مؤتمر عام.

---

1 – سورة النور / جزء من 2.
2 – سورة البقرة / آية 228.
3 – سورة النساء / آية 34
4 – سورة البقرة / آية 233.
5 – سورة النساء / آية 34 ,
6 – سورة الطلاق / آية 6.
7 – سورة النساء / آية 11.
8 – سورة النساء / آية 176.

وتأسيسا على ما سبق فإننا إذا سلمنا بسياسة الغرب وقلنا بمبدأ المساواة المطلقة فسنقع في إخلال بأحكام الشريعة الثابتة، وهذا الإخلال ينتج عنه حتما فوضى وخلل في إدارة وإقامة الحياة؛ وهذا ما حدث فعلا حيث باتت الحقوق السابقة وغيرها من الحقوق التي نظمها الشرع هي محور الصراع والصدام في مجال العلاقات الأسرية؛ وللأسف رفعت الجمعيات النسائية في بعض الدول الإسلامية نفس الشعار؛ فأصبحت المرأة في صراع مع ذاتها ومع زوجها، ومع أهلها وذويها، ومع محيطها نتيجة الإعراض عن شرع الله واتباع بريق الفكر الوافد، وأصيبت أغلب العلاقات الأسرية بالشلل التام، وأصاب الانحراف الأبناء بشكل شبه عام: ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى... ﴾ [1].

إن المساواة وفق المفهوم الغربي تقوم على أساس التماثل بين الجنسين، وهو ما يعارض النظرة الشرعية القائمة على أساس التكامل بين الرجل والمرأة ، وإن تحريف هذه المبادئ هو الذي أفرز الخلل الحاصل في العلاقات الأسرية والروابط الاجتماعية؛ لأن الأسرة في الإسلام تقوم على أسس شرعية قويمة، وهي في المفهوم الشرعي الإسلامي نسيج متكامل ومتلاحم يخضع لتنظيم رباني محكم؛ لأن الله تعالى شرع لها أحكاما تدل كل من الرجل والمرأة إلى سبل السعادة والأمن والاستقرار والسكن من خلال أواصر المحبة والتلاقي الروحي؛ ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾[2]، والمساواة تبعا لذلك تروم البناء العقائدي والأخلاقي والفكري والاجتماعي والثقافي، أما المساواة وفق الرؤى الغربية فليست سوى عولمة من صنف خاص جدا، تهدف تفكيك النسيج الأسري.

---

[1] – سورة طه / آية 124 .

[2] –سورة الروم/ آية 21.

المحور الرابع: المجال الثقافي والتربوي.

التعليم الإسلامي يقوم بتخريج جيل متطرف ومتخلف.

اتهام عشوائي وحديث إفك.

﴿ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما﴾
النساء / 27.

حديث إفك:

اتهم الغرب المدارس والجامعات الإسلامية بتكوين وتخريج جيل بفكر متطرف إرهابي، وبدأت الدول الغربية تسعى للتدخل في المقررات الدراسية للدول الإسلامية لحذف ما له صلة بالدين والتاريخ والثقافة والحضارة، كما أنها بدأت تخطط لتنفيذ مهامها وتوطين سياساتها؛ فاتُّهمت الدول الإسلامية بتدني مستوى التعليم، وصنفت أسفل سافلين، وذلك من أجل إفساد التعليم الإسلامي عن طريق نشر الفكر العلماني المتطرف، ورفض تدريس القيم الدينية الأساسية، وتشجيع تعليم الثقافة الجنسية منذ وقت مبكر ليس من أجل التوعية والتربية الجنسية وفق القيم والمبادئ، بل من أجل التدريب على الفساد المبكر والإفساد في الأرض؛ بنشر الإباحية والحرية الجنسية والفوضى الأخلاقية، حتى نصبح لا دينيين، وأميين ومتخلفين حقا لكن بطريقة تساير العولمة طبعا أو بمعنى آخر "التبعية الشاملة" والانصهار الكلي؛ لأنه إن تم الابتعاد عن القيم الدينية واتباع الشهوات والماديات، فذلك هو عين التخلف؛ لأن الغرب لا يفهم نوعية المقررات التي تدرس في الجامعات الإسلامية والتي تروم المواءمة مع الهوية الدينية والثقافية والاجتماعية والحضارية، وإن كان يفهم فإننا علينا أن نعلم أنها سياسة إغراق المؤسسات التعليمية بمناهجه التخريبية كما أغرقت الأسواق بالوسائل التدميرية.

قول فصل:

إن المقررات الدراسية في المدارس والجامعات الإسلامية على عكس ما يدعيه أعداء الإسلام، وما يروج له أصحاب الفكر العلماني المتطرف، وذلك لحقائق وأحكام ثابتة في النصوص الشرعية من كتاب الله عز وجل وسنة النبي ﷺ ومن أهمها:

أ- التعليم الإسلامي أساسه القرآن الكريم والسنة النبوية، واجتهادات فقهاء المسلمين وهذه المصادر الأساسية غنية بقيم التسامح في التعامل مع اليهود والنصارى، والدعوة على الحوار والمجادلة بالحسنى، واعتراف الإسلام بالرسالات السماوية الأخرى.

ب- الدعاة في العالم الإسلامي مرجعهم الكتاب والسنة ومنهجهم الحكمة والموعظة الحسنة والثوابت فيها المسلم باحترام أهل الكتاب.

ج- المؤسسات الإسلامية - التربوية والثقافية - في الغرب تعمل على تعزيز الحوار والتعايش بين المجتمعات الغربية والجاليات الوافدة.

فالقرآن الكريم: لا تحريض فيه على العنف أو كره العنصر البشري، أو دعوة إلى التطرف والإرهاب، بل آيات القرآن الكريم عدل كلها و رحمه كلها وتسامح كلها....

➢ في القرآن الكريم دعوة للحوار والكلمة السواء: ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ﴾[1].

➢ في القرآن الكريم دعوة إلى المجادلة بالتي هي أحسن في قول الله تعالى: ﴿ادع إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هى أحسن...﴾[2]، وقول الله ﷻ: ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هى أحسن ﴾[3].

---

[1] - آل عمران / آية 64.

[2]- النحل، آية 125.

[3]- العنكبوت، آية 46.

➢ في القرآن الكريم سورة اسمها سورة الروم، والآيات الأولى منها فيها بشارة وبشرى لنصارى الروم، وتعدهم بالنصر على أعدائهم في بعض سنين: ﴿الم غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المومنون﴾[1]، وكان المسلمون يحبذون انتصار الروم لأهم نصارى، وكانت عاطفة المشركين مع الفرس والوثنيين في ذلك الوقت، وكانت فرحة المسلمين كبيرة بانتصار الروم.

➢ وفي القرآن الكريم ذكر طيب للنصارى، وسيرة نبوية عطرة عن سيدنا عيسى عليه السلام ووالدته مريم العذراء،.....

➢ وفي القرآن الكريم إشارات واضحة إلى إقامة العلاقات مع غير المسلم، إلى درجة ترقى إلى إقامة أسرة واحدة عن طريق الزواج المختلط الذي يعتمد على زوجة يهودية أو مسيحية ﴿... والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذى أخذان ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو فى الآخرة من الخاسرين﴾[2].

➢ في القرآن خطابات لـــ "الناس" كافة ولـــ «الإنسان": "يا أيها الإنسان ما غرك بربك.»، "يا أيها الناس..." بلفظ العموم دون تمييز بين جنس أو قوم أو......وخطابات للبشرية جمعاء بأساليب حوارية رائعة: ﴿ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين﴾[3].

وفي السيرة النبوية العطرة نماذج رائعة من معاملات الرسول عليه الصلاة والسلام للمخالفين والمشركين بروح الرحمة والتسامح والعفو والصفح، حتى مع

---

[1] – سورة الروم / 1-4.

[2] – المائدة / جزء من آية 5.

[3] – فصلت، آية 33.

الذين أرادوا قتله عليه الصلاة والسلام....، ونماذج من تعامله عليه الصلاة والسلام مع اليهود والنصارى وهي جميعها تعكس صورة فريدة من صور تسامح المسلمين واعتراف الإسلام بالرسالات الأخرى، هذه الصورة التي ينفرد بها الدين الإسلامي عن سائر الأديان وعلى مر العصور والأزمان...

والإسلام من جهة أخرى يدعو للعلم والعمل والتعمير: ﴿هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها﴾ [1]، والتعمير هو تنمية اقتصادية؛ وهذه التنمية في الإسلام تستهدف الإنسان وتروم رقيه وتقدمه والقضاء على كل أسباب وآثار وأنواع التخلف،وقد سبق الحديث عن بعض من هذا الموضوع في المحور المتعلق بالمجال الاقتصادي.

إن الاتهامات الموجهة للتعليم الإسلامي ومناهج التعليم في الدول الإسلامية اتهام باطل، وإن السعي إلى تغييرها وفق مخططات الغرب سياسة أخرى من سياسات التدمير والقتل البطيء للمناهج والثوابت الإسلامية، وسلخ المسلم من الهوية الدينية والأخلاقية والثقافية واللغوية، وتجريده من روح الأصالة والانتماء.

وإن الإصلاح الحقيقي لن يكون إلا من داخل الدول الإسلامية نفسها أولا، بإصلاح مناهجها التي مازال الأغلب منها مستمد – وللأسف – من القوانين الغربية، ثم إن الإصلاح لن يكون إلا برصد المقررات الدراسية في المدارس والجامعات الغربية، و العمل على تنقيتها من الصور المغلوطة والأفكار المتطرفة التي تعلم على العنف وكره الآخر والإرهاب، وتصحيح صورة الإسلام التي يعمل الغرب جاهدا على تشويهها.

---

[1] – سورة هود، آية 61.

الخاتمة

الخاتمة

إن المعاداة المتزايدة من الغرب للإسلام هي معاداة ناتجة عن تبني رؤى مغالطة تعكس سوء فهم، أو عن فكر خاطئ قائم على مركب جهل، أو ظاهرة مَرَضِيَّة معينة تجاه الإسلام والمسلمين.

وإذا كان معظم المفكرين و المنظرين يقولون بأن الحوار مع الغرب يزيل سوء الفهم الذي أذكته التربية الخاطئة والقراءة المغلوطة، فما هو السبيل لإزالة آثار الجهل المركب الذي علق بأذهان العديد من الغربيين المعادين للإسلام قلبا وقالبا.

وإن غياب الأسلوب الأمثل لمعالجة هذه الظواهر المرضية –على الأقل في الوقت الراهن– يجعل الخلاف كائنا والاختلاف قائما؛ لأن هذا الأخير وحسب تنظير ابن تيمية: "تارة ينشأ من سوء الفهم ونقص العلم وتارة من سوء القصد"[1] وكلاهما قائم؛ فنحن اليوم إذا نظرنا في أسباب الخلاف ودوافع الاختلاف بين الأفراد والجماعات، والفرق والطوائف، والملل والنحل، والأمم والشعوب فلن نجدها تحيد عن هذين السببين.

كل هذا حادث وواقع والإسلام منه برئ، وما دام الغرب لم يرق إلى درجة التمييز بين الأخلاقيات الإسلامية الأزلية والثابتة، وبين سلوكيات المسلمين المتغايرة جغرافيا وتاريخيا وحضاريا فإن الإسلام في الغرب يظل في قفص الاتهام،وبين زمام سوء الفهم والقصد وعنان الجهل المركب إلى أن يأتي الله بأمره.

﴿ فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا فى أنفسهم نادمين ﴾المائدة / 52.

صدق الله العظيم.

---

[1] مجموع الفتاوى، 16/ 310.

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- أبجد العلوم، / الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، صديق بن حسن القنوجي، تح: عبد الجبار زكار، ط 1978م، دار الكتب العلمية – بيروت.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد العمادي، أبو السعود، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر، تح: علي محمد البجاوي، مطبعة النهضة– مصر.
- الإسلام بين الشرق والغرب، علي عزت بيكوفيتش، ترجمة: محمد يوسف عدس، سلسلة نافذة على الغرب 2، الناشر: بافاريا، ط 2/ 1997
- الإسلام والمسيحية: من التنافس والتصادم إلى آفاق الحوار والتفاهم، أليكسي جورافسكي ترجمة: خلف محمد الجراد، سلسلة علم المعرفة – الكويت، ع 215، نوفمبر 1996م.
- إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم الجوزية، تح: طه عبد الرؤوف سعد، ط:(1973م) دار الجيل.
- تاريخ إسبانيا في العصور الوسطى: مسلمون ويهود ومسيحيون، فرناردو أثنار، أنايا 1992
- تاريخ الخلفاء، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط1 (1371هـ/ 1952م)، مطبعة السعادة– مصر.
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر – الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان.
- تراث الإسلام، الجزء الأول تصنيف: جوزيف شاخت – كليفورد بوزورث، ترجمة: محمد زهير السمهوري – حسن مؤنس – إحسان صدقي العمد،

سلسلة عالم المعرفة 8، الطبعة 3 الكويت 1985م. تح: شاكر مصطفى، مراجعة فؤاد زكريا.

- التربية الخاطئة للغرب /كيف يشوه الإعلام الغربي صورة الإسلام، تحرير: جوكينشلو وشيرلي شتاينبرغ، ترجمة حسان بستاني ط1(2005).
- التعريفات للجرجاني (علي بن محمد بن علي)، تح: إبراهيم الأبياري، ط 1 (1405 هـ) دار الكتاب العربي – بيروت.
- تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، ط (1401هـ)، دار الفكر – بيروت.
- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تح: أحمد عبد العليم البردوني، ط 2 / 1372.
- درء التعارض، لابن تيمية،تح: محمد رشاد سالم،ط 1391هـ دار الكنوز الأدبية للنشر، الرياض.
- الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدليل من الكتاب والسنة، لابن القيم الجوزية، ط / دار الكتب العلمية – بيروت 1395هـ- 1975م.
- سلسلة تصحيح صورة الإسلام: العدد الثالث تصحيح صورة الإسلام في الغرب بين حملات التشويه وواجب التصحيح، طبعة 2007م.
- سنن ابن ماجة، أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت 275 هـ).
- سنن أبي داود، لسليمان بن الأشعث السجستاني (ت 275هـ) ط دار الفكر.
- سنن الترميذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترميذي (ت279هـ) ط، دار الفكر 1394هـ – 1974 م.
- شروط النهضة، مالك بن نبي، ترجمة عبد الصبور شاهين، طبعة دار الفكر، دمشق، 1960 م.
- صحيح البخاري، لأبي عبد الله إسماعيل البخاري، (ت 256هـ) تح محمد علي قطب، المكتبة العصرية 1415هـ- 1994م.
- صحيح مسلم، لأبي الحسين محمد بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت 261هـ)،تح: محمد فؤاد عبد الباقي، ط: دار الفكر 1403هـ – 1983.

- صحيفة swissinfo النسخة العربية الإلكترونية.
- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن القيم الجوزية، تح: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة للنشر، ط3 (1418هـ- 1998م).
- صورة الإسلام في الإعلام الغربي، محمد بشاري/ط دار الفكر(2004م).
- فخ العولمة، تأليف: هانس بيتر مارتن و هارالد شومان، ترجمة عدنان عباس علي، مراجعة وتقديم: رمزي زكي، سلسلة عالم المعرفة ع 238، أكتوبر 1998م.
- الفروق، لأحمد بن إدريس القرافي، ضبط وتصحيح: خليل المنصور، ط: دار الكتب العلمية (1418هـ / 1998م).
- لسان العرب، لابن منظور، طبعة دار صادر.
- لماذا يكرهونه / الأصول الفكرية لعلاقة الغرب بنبي الإسلام،باسم خفاجي، ط:2006.
- مجلة FP: Foreign Policy / النسخة العربية، الناشر: دار الوطن للصحافة والطباعة والنشر، العدد 164، يناير / فبراير 2008م.
- مجلة الأزهر، العدد ذو القعدة 1427هـ/ دجنبر 2006م .
- مجلة التمويل والتنمية finance and développement/ مجلة اقتصادية يصدرها صندوق النقد الدولي.
- مجموع الفتاوى، لابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، (1412هـ/ 1991م).
- مصنف عبد الرزاق، تح: حبيب الرحمن الأعظمي.
- مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، ط5: 1984م، دار القلم- بيروت.
- من يجرؤ على الكلام، بول فندلي، ط /7 2004م، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر.

🕮 مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، تح: مكتب البحوث والدراسات، ط 1 / 1996م دار الفكر – بيروت.

🕮 موقع: http://www.almujtamaa-mag.com

🕮 El islam y el mundo árabe; Guía didáctica para profesores y formadores , Gema Martin Muñoz , Begoñ Valle Simón,
Plaza Àngles López , Ediciones:Mundo Árabe E Islam – Educación Y Cultura, Agencia Española De Cooperación Internacional , 1996.

🕮 The Economist newspaper, vol: 386, no: 8561 , January 5 , 2008. No: 8562, January 12, 2008.

🕮 Time magazine , vol:172, no:16 ,October 20, 2008.

فهرس المحتويات:



د. ناجية اقجوج

لم يَعُد خافيا على أحد مدى تفاقم واتساع رقعة التهجم الإعلامي في الغرب على الإسلام والمسلمين، خاصة بعد أحداث 11 شتنبر 2001. وقد أصبح هذا التهجم مادة يومية في الصحافة والتلفزيون، وأضحت الأحكام المسبقة والأفكار المغلوطة والصورة النمطية تنشر بصورة فظيعة عبر وسائل الاتصال الجماهيري التي لها من الفاعلية وقوة الجذب والتأثير ما يجعل الغربيين ذوي قابلية واستعداد بالغين للتصديق والاستيعاب السريع لكل المعلومات الخاطئة التي تلصق زورا بالإسلام والمسلمين.

وإذا كنا لا ننكر أن في الغرب مفكرين وإعلاميين يتحدثون عن الإسلام بإنصاف، فإن في الغرب أيضا صناعة ضخمة هي صناعة الكراهية والعداء للإسلام والمسلمين؛ وهي صناعة ترتبط بعنصر نفسي بارز من عناصر التكوين الفكري للإنسان الغربي المتمثل في الاعتقاد بالتفوق العنصري، ولذلك لم يستطع الغرب ومعه إعلامه الرهيب تفهم الإســـلام على حقيقته، واستيعاب طبيعة حضارته الإنسانية.

وسواء كان الحديث السلبي للغربيين عن الإسلام ناتجا عن جهل أو عن قصد أو عن سوء فهم، فهناك حاجة ملحة تفرض علينا توفير مصادر معلومات صحيحة باللغات الأجنبية تكون متاحة ومتوفرة للصحفي والكاتب والمؤرخ الغربي، وبدون وجود هذه المصادر تبقى جهود التصحيح - رسمية كانت أو مستقلة - غير قادرة على تحقيق المراد وبلوغ المقصود.

لقد آن الأوان لبذل الجهود الحثيثة لإيجاد فهم صحيح للإسلام يؤدي إلى التقليل من سوء الفهم والجهل بحقائقه، وهو ما يقتضي منا -معشر المهتمين بهذا الأمر- إعادة النظر في أساليب طرحنا للإسلام وثقافته وحضارته، وطرائق تعبيرنا عن أفكارنا أثناء مخاطبة الآخر بما يتناسب وتصحيح الصورة وتبديد سوء الفهم العالق بأذهان الغربيين.